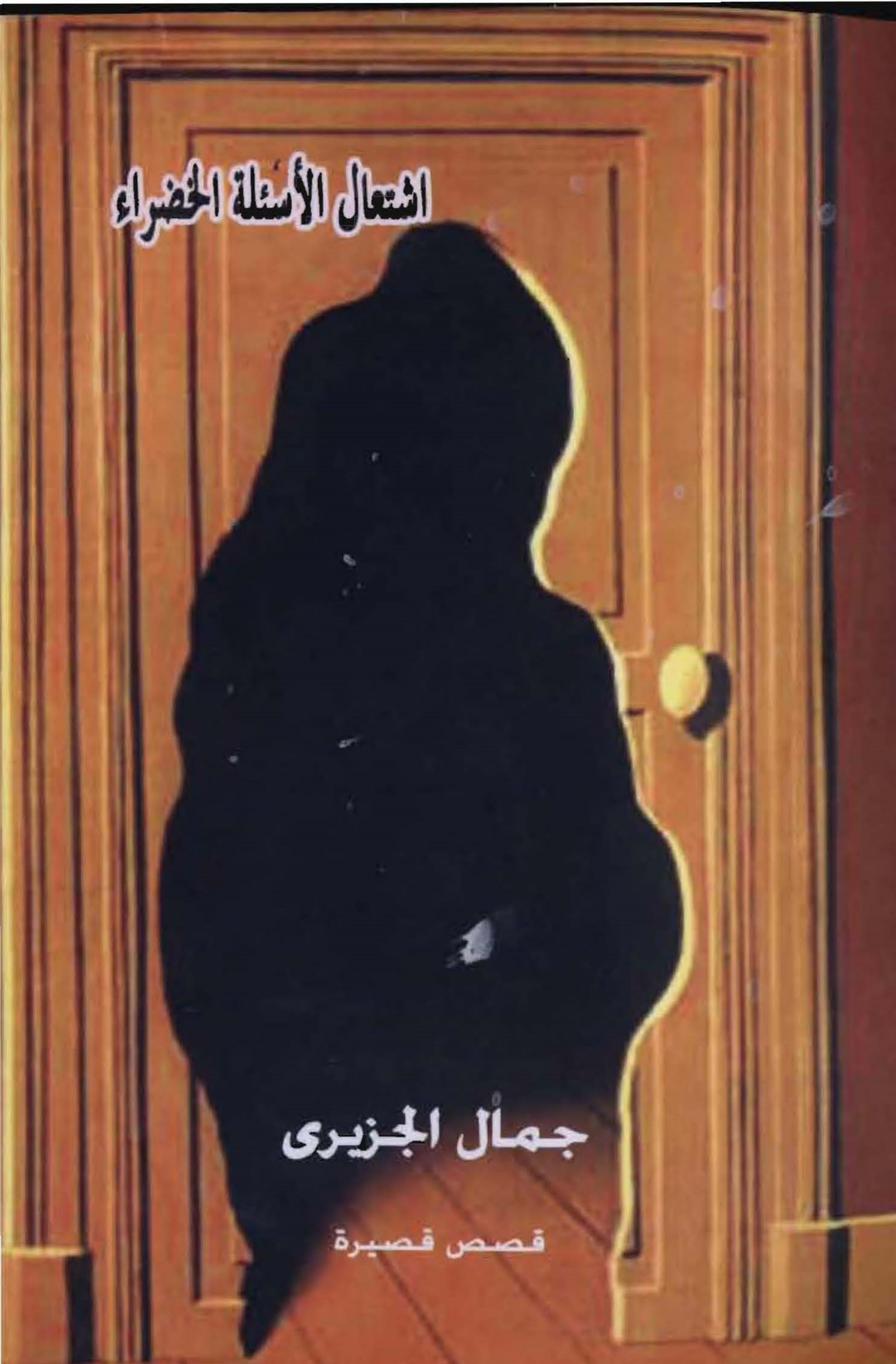

اشتعال الأسئلة الخضراء
جمال الجزيرى
قصص قصيرة

دار التلاقي للكتاب
تعنى بنشر الثقافة الرفيعة والإبداع المتميز

المدير العام : د. إسرار الجراح
مدير النشر : السمّاح عبد الله
جمهورية مصر العربية – الجيزة – العجوزة
٥٤ شارع شاهين – الطابق الأرضي – شقة ٧

Email : altalaqi22@yahoo.com

اســم العمل : اشتعال الأسئلة الخضراء
المــؤلــف : جمال الجزيري
النــوع : قصص
الطــبعة : الأولــى
تاريخ النشر : القاهرة ، أغسطس ٢٠١١
تصميم الغلاف والإخراج الفني : سين عين
النــاشــر : دار التلاقي
عدد النسـخ : ١٠٠٠ نسخة
مقاس الكتاب : متوسط (١٤ X ٢٠)
رقم الإيداع : ٤٦٢٥ / ٢٠١٢

اشتعال الأسئلة الخضراء

قصص قصيرة

جمال الجزيري

دراسة

د . بهاء إلدين محمد مزيد

مدحت صفوت محفوظ

كُتبت قصص هذه المجموعة في الفترة ١٩٩٤-٢٠١٠

شُرْبٌ حتى الوجع

حنان الأم!

لم يستطع أن ينطق كلمة واحدة. كان ينظر إليها والدمع محتبس في عينيه كأنه معتقلٌ لا توجد ورقة واحدة في أروقة المحاكم تثبت تهمَته أو في سجلات الشرطة تحدد مكانَ اعتقاله. حاول أن يتكلم. لكنها نظرتْ إليه نظرة أخرستْه. فقط كَتَبَ بعض الكلمات التي حاول بها أن يُخرج ما يتصارع داخله. وضعتْ بعض الغراء على صدرها واحتضنتْه دافئةً رأسه في ذلك الصدر الذي أحاط به من كل جانب كعساكر الأمن المركزي. ثم أمسكتْ يديه ودلّكتْ بهما صدرها، وأخذت تناجيه: "ما بك يا حبيبي؟ تكلّم. قُلْ كل ما تحس به. أنا أمك. قل لي يا حبيبي. أخرِسْ أصوات المغرضين ووكالات الأنباء. أخرِسْها يا حبيبي". وعندما لم يستطع أن يتكلم كلمة واحدة، شرعت في ضربه حتى يفرَّ الدمعُ من عينيه ويخرج صوته بجلجلا.

صباح شريد

رجل وحيد في نهاية الطرقة يبدو كشبحٍ شريدٍ شديد الألفة لا يخيف أحدا، بل يقبع مسكينا كسيرا كأنه يخشى أن يكنسه عامل النظافة مع القمامة ليلقي به في برميل سيغرقه بعد دقائق في المستنقعات ويوزع أنفلونزا الخنازير على الجميع بالتساوي.

رجل كأنه الهوان، منكبٌ على مكتبه طيلة النهار وجزء من الليل لكي يجمّع قروشا لا تميته جوعا، وكأنه جزء من المكان، جزء من الزمان، دون أن يلتفت إليه أحد، أو يلقي عليه بتحية الصباح أو المساء أو يبتسم في وجهه.

رجل تنهره الأتوبيسات، لكنه يظلّ عالقا على بابها، كأنه يطوف أو كأنها تشهّر به في الشوارع. وعندما يوشك الأتوبيس أن يقع به من فوق الكوبري يلقي بنفسه، لكنه لا يقع في عرض الشارع كي تدهسه السيارات، بل يظلّ معلّقًا على سور الكوبري كأنه الرياح أو كأنه مَرْكَبٌ في انتظار الانفتاح. لكنه يظلّ واقفا وعليه أن يسير ويحاذر كي لا تطارده الأتوبيسات فتغرقه في النهر، كي لا تطارده السيارات فتدهسه على الرصيف.

رجل على مكتب متهالك، تتسع الطرقة لتضم مكاتبا أخرى ويصير هو نسيا منسيًّا في ركنٍ كباقي من يجلسون على المكاتب دون أن يلقي أحد عليهم تحية صباح جديد.

تقَارُب

عندما صعد المنحدر، رأى كل البشر تحته أقزاما. لكن صديقه الذي بجواره كان كما هو و لم يتقزّم. طلب من صديقه أن يظل مكانه. واحتار في خطته ذاتها: هل يصعد أكثر ليتأكد مما يحسُّ به؟ أم يـنـزل إلى سـفح الجبل؟ لم يدرِ إلا وهو يهبط المنحدر في حذر. كان الذين عند السـفح يكبرون في عينيه رويدا. وعدما نزل إليهم وجدهم كما هم. لكنه أخـذ يتأمل وجوههم ونظراتهم، فبدأ يقرأ أشياء جديدة لم يكن يلتفت إليها من قبل. ازداد إحساسه بالألفة والتقارب. وسرعان ما تذكر ما أحسّه فوق المنحدر. فنظر لأعلى: وجد صديقه قزما تكاد الريح تتلاعب به. أمسك ورقة وشرع يعصر رأسه ليدوّن كل ما يستطيع أن يتذكّره أو يـستعيده عن ذلك الصديق. وعندما عاندتْه ذاكرتُه، جال بعينه في الوجوه حولـه: من يقف معه أو من يواصل عمله بالحقول، وكأنه كان يحاول أن يعوّض ما فاته من ملامح صديقة، ثم ألقى السلام وأخذ يصعد المنحـدر مـرة أخرى ليقرأ ما فاته من ملامح صديقه.

زحف الأشجار

"يمينا، يسارا"، قالها وهو يعدُّ خطواتِه ويتّجه نحو رقبتي. لم أعرف أنّ اليمين واليسار يتساويان إلا عندما اعتلى حذاؤه جسدي و لم أستطع أن أسدَّ أنفي. ضغط بحذائه على كتفي وقال لي: "هل ترى تلك الأشجار التي تسير نحونا؟" سخرتُ منه لكنني لم أُظهر ذلك في نبرتي عندما رددتُ عليه قائلا: "نعم أراها تكسّر ساقيّ". فقال لي: "دعك من المبالغة وتعالَ استمتع بالطبيعة المتحركة. ستزرع هذه الصحراء بالخضرة ويجد الجنود شيئا يسلّيهم". فقررت أن ألقي به في الهاوية وقلت له في خبث: "سأقفز حتى أرى هذا المشهد الجميل ولو لدقيقة واحدة" وقفزت ملقيا به وأنا أتخابث وأدعوه للقفز بجانبي.

ضمير الغائب

قالت: "أحب الشبابَ الجديدَ حتى أُشرِبَهُمْ من روح الفن وجسده". لكنني عندما انهارت قواي تماما و لم أستطع أن أرفعَ جسدي أو أشربَ فنًّا ووجدتُ روحي تكاد تتسلل مني، أدركتُ مدى صدق ضمير الغائب في "أُشرِبُهُمْ" أو لعلها كانت تقصد "أُشرَبَهُمْ" وأنا الذي انخدعت بكلامها أو عدم استقامة الحروف على لسانها. فتحاملتُ وخرجتُ أجرجر روحـــي المنهوبة في أسى.

طفل ضال

قهوة كأنها المرارة تصطفُّ على حدود العسل في عيـد مـيلادي، وعندما أهِمُّ بأن أرتشفها، تُطلِقُ الأسئلة على لساني فينكمشَ، وأبـدأ في تقطيع التورتة بخجل كأنني أذبح طفلا لم يفعل لي شيئا سوى أنني وجدته بجواري ساعة احتفالي، فقلت أصنع منه وليمة لإخطبوط البحر. لكـنني أبصر قِطَعَ الفراولة على أطباق التورتة دماءً ترعبني، فألملم أطباق وحدتي وأجلس في صمت لأستمع إلى موسيقى جنائزية وأحيي ذكرى الطفـل الضال.

هاوية الانتحار

كان يعوي أعلى التل. صعدتُ إليه لأخفّفَ عنه. ابتسم في وجهي ثم ألقى بنفسه إلى هاوية الانتحار. ولكن هذه الهاوية رفضتْ صدرَه النّافرَ وأنفاسَه المحترقةَ وألقت بنفسها في أحضان أرض صخرية تبيع نفسَها للغرباء.

شربتُ من ليلها

مرَّغتُ رأسي على حذائها وشربتُ من مجرى الماء الساكن تحتها على أمل أن تطعمني، لكنها رفضتْ. انصرفتُ عنها غاضبا كي لا أفتك بها أو أصير بلا ظلٍ ولا أرض. نادتني بلهجة مَنْ تعلن عن اكتشاف: "أنا أمُّكَ". نظرت إليها في عتاب أو سخرية. وما أن فرغتْ من كلمتيها حتى جلستْ تكمل مشروبَها. فوضعتُ يدي على بطني وأسئلتي على رأسي وتوكّلتُ على الله.

جديد الحساب

كان يخرج كل ما في جيبه ليصرفه عندما يستلزم الأمر، واثقا أن الغد دوما مليء بالجديد. لكنني عندما رأيته آخر مرة على المقهى وحان وقت الحساب، وجدتُني مترددا ووجدتُه مترددا، وكأننا نخشى غـــدا غـــادرا. فالتفتَ إليّ وهو يحاول أن يجمّع ملامحَ صورة مقنعة على وجهه قـــائلا: "ليس هناك أحسن من المعاملة الإنجليزية". فأخرجتُ محفظـــتي وأخـــرجَ محفظتَه في تستُّرٍ كأننا نرتكبُ جريمةً.

مخيَّمُ اللاءات

تترامى الجبال أمامه كما لو كانت تسدُّ عليه الطريقَ وتحاصـــره، أو تظنُّ أنه هو الذي ابتعد عنها، فتتخذ ظنَّها ذريعة لكي تنبـــذَه وتـــزرعَ صخورَها ألغاما في طريقه. وما أن يبدأ في التحرّك للأمام حـــتى ترميـــه بالحجارة كأنه تشيطن أو أن صوته سمٌّ يُفْنِي صوتَ جماعـــةٍ ارتـــضتَ الطوافَ حول أعضاءِ الجسدِ دون أن تبرحه أو تضع علامة استفهام حول ما تفعله. تترامى الجبال أمامه وتسد الطريق أمام نسمات تخاطب أنفـــه اللحوح، فلا يملك إلا أن يبدأ في الغناء وينادي الريح.

تنهيدة

نظر إلى الأفق البعيد وتنهد، لم يَدْرِ إن كان يتحسَّر على أولئك الأشخاص الذين يسيرون بعيدا نحو المطار أو أنه يأسف لما وصل إليه بعد كل هذي الطريق. دار بعينيه يمينا ويسارا. لم يجد نسمة هواء تواسيه. نهض. طوي الصحيفة التي كان يتفحص إعلاناتها وعاد على الطريق الضيقة التي كان قد سلكها في الصباح بحثا عن لقمة يسد بها جوعه. كان قد اعتزم من قبل أن يرتشف العلقم حتى يسد أفواها تترقبه. وها هو الآن يدرك طعم العلقم في مؤخرة حلقه ولا يستطيع الإمساك به. فكَّر وهو في طريقه أن يصوِّر معاناته في قصة، فضحك ساخرا دون أن يعبأ بما إذا كان هناك أحد على الطريق. "قصة ماذا يا موهوم؟ قبل أن أفكر في ذلك عليَّ أن التحم بالطابور، أن أجد لقدمي مكانا تقف عليه، حتى ولو كان مكانا دبقا، لا يهم." همستْ في أذنه الريحُ بكلمات لم يتبيَّنْها، أو بالأحرى لم يستطع ترجمتها. لم يعبأ بالأمر كثيرا. كل يوم تتوارد على أذنيه آلاف الكلمات، لم تفده بشيء، أو تخرجه من حال إلى حال. عاودت الريحُ الهمسَ، الزعيقَ، الصراخَ، العويلَ، النحيبَ. فدار للوراء. خلع نعليه. جرى لاهثا، علّه يلحق بأولئك السائرين نحو المطار....

حياة باقية

أفر من الصقيع إليكِ، أجدكِ صقيعا تهزملكِ الوحدةُ، وتحصين أنفاسا كانت للكِ علّك ترينها مرة أخيرة قبل أن تفارقكِ. هل كنتِ مثلي تبحثين عن الحقيقة في العراء وتنبشين عن خيط واهٍ ربما كان؟ أم أن صديقكِ العراءَ خانكِ ورصَّ في جسدكِ أبياتَ بردٍ كالمخيمات التي تحتلُ دفأكِ؟ أبحثُ عن جذر الدفء فيكِ. استنهض انتفاضتكِ. أرميكِ بالحرارة، فتتصدع أبياتُكِ، وأجدكِ مازلتِ قادرةً على الحياة، وأجدني أمزج الجذور بأبياتِ تستبقُ الدفءَ، فنعوي، والقافلة ثعلب يمثّل الظلام، أو ذئبٌ يتشمَّمُ رائحتَنا. لكن الجسدَ يهبطُ في الجسدِ، يصعدُ ويصعدُ، يبتهلُ لبقايا رمادٍ وآثارِ حصادٍ يتطلّعُ لأنْ يجنيَ غلّته، يهبطُ ويصعدُ. يُسْخِنُ فتيلَ حرارةٍ مقتولةٍ فينا، فتشتعلَ نارا كلغمٍ قديمٍ وبركانٍ يَخْرُجُ ليشمَّ ريحَ البرد، ثم يعود إلى نومه مطمئنا على وجود النقيض. يجري الذئبُ بعيدا للقافلة أو أنه هي، ونظل نعوي، وما من سبيل أمامنا أو وراءنا سوى أن تمتزج أجسادنا لتنفخ الرُّوْحَ في بقيَّةِ حياةٍ، و"حياةُ القافلةُ الباقيةُ"، فنحتمي من الصقيع بأجسادنا ولا نبالي بالقافلة التي لا تبالي بشيء.

هبوط بالجملة

ولمّا كان القطار لا يريد أن يتوقّفَ في المحطات، ولمّا كان هو يريد أن يصل إلى محطةٍ ما، وقف حائراً لا يعرف ماذا يفعل: يــود أن يــصل إلى محطته، لكن الخصائص المميزة لمحطة هي تلك التي تميز الأخرى.... توقف القطار أكثر من مرة، وكثيراً ما مزّق أناساً بين ضلفته والإطار. دوامة لا متناهية للخروج، والتملص مستحيل. سمع صوتاً يقول: "ليس لك الحق في الخروج". قال الباب مزمجراً: "ما شأني أنا بالداخل والخــارج؟ الأيــادي تصفعني باستمرار وأنا صامت. لا. لن أنفتح لأحد". كان الباب ينفــتح مكرها لطالبي الدخول. وظلّ صاحبُنا متوزِّعَ الخطــواتِ. ضــرير قــال كلمات لم يفهمها. سمع صريرَ سريرٍ لا يدري منبعه. هام داخله في درب لا يعرف أين ينتهي أو إلى أين يصبُّ أو حتى يسير...

توقف القطار فجأة. فُتِحَت الأبوابُ علــى مــصاريعها. انفتحــت الأبوابُ الموصلة بين العربات. كبّر الركّابُ خارجين. هالتهم الكثبــانُ. أول ما فكروا في فعله هو الهتاف بموت السائق. نظر بعضهم إلى القضبان، وجدوها متآكلة. اندفعوا إلى عربة القيادة... السائق عجــوز، ضــرير، ملابسه مهلهلة ـــ هكذا رآها أحدهم – شعره أشعث متسخ تمامــاً. في يده "جزرة" متسخة يقضمها بشهوانية، وفي اليد الأخرى علبة من حبوب المقويات، نادوه، لم يردّ، قبل أن ينادوا عليه مرة أخرى هبطــوا جميعًــا إلى...

وجوه العملة

حاولتُ أن أجعل نفسي وجهين لعملة واحدة. لكنني فشلت فشلا "ناجحا"، إذ أن كل الوجوه حولي لا تقبل إلا أن تختزلني في بعض الملامح التي ترتئيها: لا تقبل أن ترى ملامحي الأخرى. وإن بَدَرَ ملمحٌ يُوجَّه لي إنذار فوري بشجبه وإدانته. كان من الصعب عليّ في البداية أن أتكيف مع هذا الوضع: إذ كنت أعتقد أنني كيانٌ واحدٌ لا يقبل التقسيم أو الانشطار. لكنني عندما أدركتُ أن الصِدَامَاتِ ليس لها نهاية وأنها فرصة مثالية للآخرين لكي يوقعوا بي وأن معظم ملامحي لا يفهمها أحدٌ، توقّفتُ. أعدتُ حساباتي. ساعتها أدركت وجوب الفصل بين وجهي "الجميل" وبيني. أقمت سورا معتما حول حياتي الخاصة وأفكاري وأحلامي وأبحاثي وقراءاتي. واكتفيت "بنسخة محدودة الإمكانات" مني أخرج بها على الملأ. بدأ الصدام يخف وبدأتُ أحظى بامتيازات ما كانت تقترب مني أبدا سابقا. لكنني كنت متنبها تماما للحد الفاصل بين وجهي على الملأ ووجهي الحقيقي. فبمجرد أن أخرج من مقر عملي أنسى تماما أنني أعمل به. وعندما أضع المفتاح في باب شقتي، أستعيد شخصيتي التي أعلقها على المشجب خلف الباب وأعيشُ كاملَ وجوهي.

العالم السفلي

بعيون ثاقبة متفحصة، تتلقف أيدي الصغار محتويات البرميل المنتصب عند حافة الشارع. ينهمكون في نثرها بعرض ذلك الشارع وطوله. يمعنون في تقليبها علي الرصيف وفرزها. صبيّان يتشاجران علي جزرة واحدة. "يا ابن الكلب، أنا وجدتها أولا، أتريد أن تأخذها مني؟"، فيرد عليه فورا "يا أبن الـ...أنا يدي أطول وأمسكتُ بها من قعر البرميل. ...". يمسكان بها وكل منهما يجذبها ويصرُّ علي أن الجزرة جزرته. يُخرج الصبي الأكبر فيهما موسا من جيبه فيسيل الدمُ من الصبي الأصغر الذي يسبُّ الآخر، ويبكي. يجري صبي ثالث ويخطف الجزرة، متواريا في أحد الأركان؛ يلتهمها بسرعة ويخرج المطواة من جيبه. ينزل صبي رابع برأسه في البرميل ورجلاه معلقتان في الهواء. عندما يلمحه الصبي الثالث فوق البرميل، يشحذ إصبعه. يتماسك الصبي حاملا ثقله على يديه كي لا يقع في البرميل. يخرج بأحد الأكياس، وما أن تثبت قدماه على الأرض حتى يفرَّ إلى أحد الأركان. ينتقي مما بالكيس الأسود. يستطعم بعض الأشياء وعيناه تلمعان بالسرور الحَذِر. يتهلّلُ صبي خامس، فلقد وجد بعض الأرغفة الناشفة. الصبي الثالث يستمتع بضوء الشمس المنعكس على مطواته التي يلوح بها عاليا ثم يرفع جلبابه متباهيا، ويتبول في البرميل... عندما يأتي عامل النظافة، يكون كل ما في البرميل قد تبعثر على الرصيف. يزعق: "يا أولاد الـ... ملعون أبوكم..."، فينطلقون ويتوارون كلهم في بئر سلم قريب...

تقارير

يكتب عنك النظام التقارير. تطفئ الجهاز. تود أن تريحه لنصف ساعة ولكنك تريد أن تنتهي من مراجعة النص للمرة الألف قبل أن يستيقظوا: لن تدعك ابنتُك، ستأتي إليك وتجلس على مكتبك بجانب التليفون وتشغّل موسيقى نغماته؛ وعندما تحاول أن ترسلها إلى أمها بالمطبخ، تقول لك "تغل" (اشتغل)، وهي تشير إلى الكمبيوتر دون أن تترل من على المكتب، هذا حصادك، تتراقص مع الموسيقى، تدندن ببعض أغان، تشير إلى التترات في قناة "سبيس توون" وتنطق باسم الشخصيات قبل أن يعلن التتر أو الإعلان شيئا. يرسل الكمبيوتر التقرير بالرغم من أنك لست على اتصال بالشبكة. تأتي إليك، "ألّس ليك" (أغلس عليك)، وتمسك الوردة البلاستيكية وتناوش بها وجهك، محاولَةً أن تدخلها في أذنك. يبلغك الكمبيوتر بخطأ في الإرسال ويرفض الانغلاق، فتلعنه وتحتضنها.

صمت

متكئ بظهره الذي بدأ يميل إلى التقوس على النخلة المشاكسة. يراوغ بعينيه الشمس الغاربة، فلا يحب أن تواسيه أشعتُّها الفاضحة. تتقلب عيناه ذات اليمين وذات اليسار بنظرات متثاقلة على غيط الطماطم الذي انخفض سعر الكيلو منه إلى عشرين قرشا... ما عاد بقادر على أن يدفع أُجْرَة "العيال" الذين يحضرهم لجني الطماطم، فما يجنونه لا يسدِّد شيئا ولا يقوى على تحمُّل أي شيء تأتي حفيدته لاهثة وترتمي في حضنه، فيضمها إلى صدره في صمت وشرود. يربِّتُ على ظهرها بوهنٍ كأن أحمالَه تجرّه إلى طين قاع ترعةٍ تلطّخ صمته ولا تتركه لحساباته. يعتدل في جلسته مهللا عندما يرى أحد الجيران قادما. يشير له بيده مرحبا وكأنه وجد عنده الحلّ الذي سيخرجه من ضيقه...

- أين كنت يا أبا هاء؟ الواحد قاعد من العصر وجسمه مضعضع ورأسه مُفَرْتَكَةٌ.

- والله مشاغل يا أبا محمد. الواحد يحسبها يمينا شمالا لا تنفع.

وكأن هذا الكلام القصير فرّغ بعضا مما في الصدر من كدر، فها هو يرسل حفيدته لأمها كي تُجهِّز كوبين من الشاي الثقيل، ويحمد الله أن الشمس قد غربت وولت وتركت له ظلاما بادئا في الصحو يمكِّنه من أن يخبئ ما في عيونه عن أولاده وأحفاده.

حتّى أنت يا فول!

عيدان الفول تتراقص حوله. لا تهتم بالتضحية الوشيكة بها. كل ما يشغل بالها أن تخرج حبوبا تستطيع أن تغرس بذور فرحة في قلب صاحبها. وهو لا يسعه كل فرح العالم. عيناه تتحولان بشوق بين حِزَمِ الفول المتراصة. المحصول سيحل كل شيء. سيسدد ديونه ويرفع وجهه في أعين الناس. يتحرك سَيْرُ الدرَّاسَة. تتجاوب معه يداه فتحمل أغمار الفول "لتُلَقِّمها" بقوة في فم الدرَّاسة الشره. يقفز قلبه كلما سمع صوت الأذرع الحديدية. فيتلقف أغمار الفول بشوق ممتد ما بين الأرض وفوهة الدراسة. يدفع الغمر تلو الآخر دون أن يعبأ بخدوش يديه، في انتظار كوم الغلة الذي سيكبر ويملأ نصف الجُرْن على الأقل.....

يُحْضِرُ ابنُه الصغيرُ الشاي. يشرب كل الجيران الذين جاءوا للمساعدة في تلذذ. وعندما يرجعون للعمل، يصعد أحدهم الدراسة ليساعده. يترك له مكانه، ويزدرد الشاي بنشوة. يحرك عينيه بتمعن إلي جانب الدرّاسة لكي لا "يطب ساكتا" من الفرحة عندما يري حبوب الفول تتسابق للنزول، وتجعل كومةَ الْغَلّة تعلو في عنان الجُرْنِ. ينتفض جسمه. وينزلق كوب الشاي من يده. فالمقطف الكبير لم يمتلئ بعد، ولا توجد بجانبه كومة كبيرة تكبس فيها الحبوب علي نَفَسِ بعضها البعض. تختلط الصور أمام عينيه وتقتل بريقهما. تنفتح رأسه علي كل معنى. يهرول عقلُه ويتداول الأفكار القادمة في سرعة جنونية. وعندما يحس بضغطها الشديد، يضحك ساخرا: "حتّى أنت يا فول!!" ويكمل شرب الشاي.

معلّق على الأحداث

"ما أحلاكِ يا حكومة. كمبيوتر ووصلة نت وفوق كل هذا أقــبض مرتبا". قالها غير مصدق أنه يستطيع الآن أن يغادر قريته الصغيرة ويتجاوز الحدود. جلس يطالع صفحات الصحف غير الحكومية على الشبكة كي يثبت حضوره يوميا بخمسين تعليقا حتى يحدث توازنا بــين التعليقـــات ويقبض راتبه.

لوحةٌ معلّقَةٌ

علبةُ سجائرَ فارغةٌ. وجهٌ يبدو عليه الإرهاقُ وقلةُ النَّوْمِ. امرأةٌ عاريةٌ. نقاطُ دمٍ تلطّخُ بياضَ جدرانِ الغرفةِ. طائرٌ في الأعلى يسيلُ منه الـــدَّمُ، لا يَبِيْنُ إن كان يطيرُ أم أنه كالطائرةِ الورقيةِ معلقٌ في الهواءِ.

لجنة الأوصياء

هذه أسئلتي أتوكأ عليها

أحس بأنه معلق على مشنقة ذاته، فطفحتْ علاماتُ الاستفهام من عينيه. لكن عيونهم التي تحاصره من كل الجهات ظلت زجاجا كما هي، ولم تبدر منها كلمةٌ واحدة. التفت إليهم من جديد علّ أسئلته تستجوبهم، لكنهم أمروه بالخروج إذ أن جلسته مرفوضة. فحمل أسئلته على ظهره وخرج. وعند الباب همس في أذنه عامل البوفيه منبّها: "ألم تدفع؟" فتكاثرت أسئلته وأفرخت في عينيه أسئلة بكرا. حاول أن يستفسر عن معنى السؤال، فقال له: "لو كنتَ دفعتَ ما تشرّدَت الأسئلةُ في عينيك". أحس من تربيته على يده بلغة مشتركة بينهما، وربما أبصر في عينيه انكسارا مماثلا، ربما لأنه دعاه لتناول الشاي في البوفيه متفهما أسئلته. وبعد أن تبادلا نظرات جانبية، خلد إلى الصمت. فقط كان صوت الرشفات يرتب أفكاره أو يُنضج أسئلته في حرارة الكوب. وعندما أحس بالنار تحرق أسئلته انتبه: "كيف أدفع مقابلَ شيء هو لي؟" فنهض ووضع أسئلته في حقيبته لتُدفئ تاريخَه. ألقى نظرة مشفقة على زملائه المنتظرين أدوارهم للدخول للجنّة ولكنه ازداد إيمانا بهم وبنفسه، ثم خرج يتوكأ على أسئلته، حالما باستئناف مُحال.

الحصاد حصاده

عاد بنظرته للأمام مستبشرا بأن الحصاد حصاده. ولكنه ما أن سَـــنَّ منجلَه وربط وسطَه وفرك جبينَه حتى انهالت عليه رماحٌ كان يظنُّها أسنانا تسوَّست وأفواهٌ كان يظنُّها ملت الثرثرة. وعندما شدَّ عضلات جـــسمه حتى تحتملَ الطعناتِ، أدرك أن الألسنة انبرت له وأن العيون ما لمـــست نقطة من حبر أبدع في تشكيله لسنوات. لكنه لم يستطع أن يرشق المنجل على هذي الأفواه الخشبية خشية أن تطول الضربات لتمتد أبد العمر.

رجل عند خط الاستواء

صورة واحدة لا تبرح رأسه: "دمية رسموها ثم استدعوها من غرفة الانتظار وأجلسوها أمامهم لسبع دقائق ملؤها باللاشيء والسخرية من ثقته بذاته وأسلوبه البديع دون أن يتهجوا حرفا واحدا منها، ثم أشاروا بأيديهم إشارة متأففة بأن ينصرف، فانصرف و لم يستطع أن يقول شيئا أمام مجلس 'الأوصياء'". يحاول أن يغمض عينيه علّ النوم يُنْزِل عقله الملتهب "بردا وسلاما" أو يعلن هدنة. لكن النوم لا يدرك جدوى محاولات الصلح، وكأنه يقول "حتى لو دثّرتُكَ بأنفاسي وتركتُ الأرقَ لباقي البشر لن يهدأ عقلُكَ دقيقة ولن يستوعب شيئا". ينهض من سريره في هذا البرد القارس ليقرأ "نساء عند خط الاستواء" أو رجال فالكل سواء أو "نساء المنكر" أو رجاله أو "تاء الخجل" أو ياءه أو حكايات في بر مصر، ظنا منه أن القراءة قد تريحه وتفك اشتباك الأفكار المتصارعة في رأسه. لكنها لا تزيده إلا أسئلة. يحاول أن يستدفئ بجسده، فيندكّ جسده دون أن يدكّ متاريس الأفكار. وعندما ينفض الماء آثارَ الدكّ من على جسده، يترك رأسه لدغدغة الدُّش وتدليك الصابون ساعةً يحاول فيها أن يغمض عينيه ويترك مسامَ جسده لهمس الماء وحميمية السريان. يجد خيوطا تظهر ملامحُها في الظلام الذي تسدله رموشُه، فيمسك برزاز الماء ويخط بعض الحروف على صفحة البخار. تنفث الحروفُ خدرَها بين طبقات رأسه، فتتسلل الدغدغة إلى تلافيف مخه ويبدأ عقله في الاسترخاء. فيغلق الدُّشَّ على عجلٍ ويرتدي ملابسه دون أن يجفّفَ جسده. يمسك القلم ويبدأ في لملمة الخيوط التي شردت من رأسه في دفتر يرافقه أبد الخط.

لم تكن سواك

"وهل كنتَ غير أنت؟" سؤال طرحه عليّ، ربما مواساة، وربما ليخفّف عني ما عوقبت به من "إرساب". قلت له: "ربما ذلك هو السبب في أنهم أرسبوني، فهم إما أنهم لا يريدون سوى صورةٍ منهم أو كائناتٍ ميتة تتلفظ بأفكار لا قيمة لها". ربما خفّف هذا الكلام من حدة التوتر، وبرغم ذلك لم أستطع أن أستوعب شيئا؛ فكل المقدمات كانت تنبئ بالبشائر، كانت تنبئ بأن ما كتبتُه سيحظى بتقدير عقول كنت أظنُّها تقدّرُ غيرَها. وأدركتُ بعد فوات الأوان أو قبل فوات أوان سيجيء أنني كنت خاطئا في ظني، كنت صادقا مع نفسي. فاستدرتُ إليه وطلبت منه أن يغيّر الموضوع، فربما لن يجدي الكلام شيئا. لكنني في قرارة نفسي تحسَّرْتُ على عدم موافقتي على الهجرة في بداية حياتي. فتركنا الكلام وأخذنا نتأمل حركة البشر في الشارع أمامنا.

فشل بطعم النجاح

وجدتُ صوتا يناديني. التفتُّ جانبي وأنا أسير على قدمي في ذلك الشارع المزدحم. رأيتُ أحد "أساتذتي" القدامى يقف بسيارته على جانب الطريق وقد انفجر إطارها وأفرغ ما به من هواء قد يساعده على الاستمرار في الحياة. لم أظهر أيَّ ملمح من ملامح التّشفّي. أشار بيديه إلى الإطار وقال: "ساعدني وأبدله لي". نظرتُ إليه ساخرا وقلت له: "اتصل بمن دفع لك ثمنها مقابل أن ترقّيه ليبدل لك إطارَها". قال لي في حدَّة: "نعم!". قلت له: "ألم تسمع كلامي. دعني أنا وإرسالي الذي ألقيته في وجهي دون أن تقرأ أبحاثي". فرد متشفّيًا ومُعَنّفًا في آن: "لن تنجح أبدا". قلت له على الفور في حدة لا تقل عن حدته: "أهلا بالفشل إذا كان سيبعدني عنك" ومضيت في طريقي دون أن أرقَّ لنداءات الإنسانية أو الشفقة داخلي بأن أساعده، كي يعرف على الأقل أن صوته ليس هو الصوت الأوحد.

أتوبيس

يلقي غريب السلام على زملائه بأتوبيس الجامعة. يجلس بجانب فارس زوبعة. "كيفك؟" يقولها له بود، بحميمية. يلاحظ زوبعة انسحامه غير المعتاد. يحكي له كيف أنه بدأ من جديد، كيف أنه استعاد نفسه وأخضع الواقع الذي فاق كل العجائب للكتابة. "كيفك أنت؟" يرد بها عليه، ثم يقول متسائلا أو مقررا أو منكِرا: "يبدو أنك مبسوط؟" بالرغم من أنه يعشق الحياة إلى مبلغ الجد. يلتفت إليه غريب قائلا إنه قاوم الاعتيادَ ونجح في إحباط تآمره على قتلِ البهجة. يفاجئه زوبعة بحله المثالي التي توصل إليه بعد عناد تفكير: "سأكف عن القراءة ومتابعة الأخبار والاهتمام بالفن والإبداع، فما الذي جلبه كل ذلك سوى همٍّ ووعيٍ وكدرٍ يفسدون علينا الاستمتاع بالحياة؟ الإنسان يعيش مرة واحدة يا أيها الحالم الصغير! وأنا لن أضحي بحياتي في مقابل هموم قد يتضح أنها أوهام! الواحد بدأ يشك في جدوى كل شيء". يلفت غريب انتباهه لسهولة تخليه عن نفسه ومقاومته الذاتية بهذه الصورة واستسلامه للمخططات. يشكك زوبعة في إيمانه بما يقول. يتظاهر غريب بأنه يقرأ في في رواية "أليس في بلاد العجائب" التي يدرّسها لطلاب الفرقة الأولى، فيقاطعه زوبعة أو يظن أنه يقاطعه، إذ أن غريبا كان يترقب كلامه. يحدثه عن أبي مازن وإن كان البرغوتي سيرشح نفسه. يرسم غريب تكشيرة على وجهه الذي لا

يستطيع التحكم في حركاته. يلتفت إليه. ثم يقول ببرود "لِمَ تتحدث في هذه الموضوعات؟ ألم تقل إنك ستكف عن هذا؟" فيرد مبتسما ابتسامة قد تجمع بين المكر والبراءة إنه يعلق فقط، "كانوا قد تصرفوا أثناء الوفاة بمنتهى التحضر والديمقراطية، فهلْ سيواصلون هذا المسلك؟" يزيد غريب الاستغراب المرسوم في نظرته ويقول مستفزا أو مازحا: "وما الذي يُدخلك في هذه الموضوعات؟ دعها لنا نحن، ألم تخرج؟" يضحكان في آن ولكنهما سرعان ما يكتمان ضحكاتهما كي لا يروّج الزملاء الدكاترة عنهما كلاما بالجنون.

على طريق الثراء

الرئيس الجديد

وقفنا في الطابور نحيّي العلم. لكن أستاذ فَصْلنَا أمامنا أشار إلينا بيديه في حزن كأنه يلفت انتباهنا إلى شيء. قال أمامنا: "تحيى جمهورية مصر العربية"، فرددنا وراءه في حماس. وقبل أن نسارع بـ "يعيش الرئيس محمد أنور السادات"، وجدناه يوقفنا ويقول: "يعيش الرئيس صوفي أبو طالب"، ترددنا قبل أن نكرر وراءه تحية الرئيس، إذ أننا شككنا أن يكون الأستاذ قد أخطأ و لم يعد يتذكر السيد الرئيس. لكنه كررها وهو يحثنا على التحية وراءه، فرددنا وراءه دون أن نعرف سببا لحزنه، فعلى الأقل غيّرنا من طابورنا المعتاد اليوم. ظننا ساعتها أن الأستاذ سيحيي كل يوم رئيسا جديدا، وبدأنا في اختراع اسم آخر سنهتف بحياته غدا. لم نهتم كثيرا بنظرة الحزن في عين أستاذ الفصل، فالأهم بالنسبة لنا ألا يتحجج الأستاذ حمادة موزع التغذية بالحزن البادي ويمنع عنا غداءنا. استغربنا من أن الأستاذ بدأ بتحية العلم و لم يؤخرها إلى آخر الطابور كما تعودنا. وبعد التحية أشار إليّ لألقي كلمة الصباح. شعرت بالخجل أو الحيرة، فلم ألقها من قبل وليست لدي ورقة كتبها لي أحد الأساتذة أو الأقرباء كزملائي الذين يخرجون لإلقاء كلمة الصباح. لم أجد إلا كتاب اللغة العربية وفتحت على صفحة فوجدتها بداية درس قراءة وأخذت أقول: "تهاجر الطيور من مكان إلى مكان ولهجرتها أسباب متعددة...". وعندما شعرت بالحرارة والأتربة فوق رأسي في ذلك الخريف، نظرت إلى الأستاذ ليعفيني، فأشار عليّ بالدخول وحيينا العلم من جديد وحيينا الرئيس الجديد الذي لم نسمع باسمه من قبل، ممنين أنفسنا بأسماء جديدة في الغد.

أمانة بين يديّ الطين

اتسع الصديري على صدره وما عاد يلتصق به، كأنــه يخاصـــمه أو يجافيه. عندما تراه قادما نحوك تبصر صديريا يعلو ويهبط وكأن له أقداما تسرع الخطى، وكأن من بداخله ليس سوى عَظْمٍ "له ماضٍ". لكنه عندما يهوي بالفأس على الأرض، يعزق الأمتار في دقائق معدودة ليوشك قبـــل الظهر أن يعزق الغيط كله. عندما تصل الـــشمس إلى ثلثـــي الـــسماء و"تنكسر" حرارة الظهيرة، يكون قد قسّم الأحواض إلى مجـــارٍ صـــغيرة وأطلق الماء في المجرى الكبير جُمْلَةً ليوزِّعَها بالقطّاعي على رَسْلِه.

تمسك أنت والجيران فسائل الطماطم، وتغرسون الفسائل في التراب الذي رطّبته المياهُ. يجلس هو على البعد يراقب انتظام حركات أصابعكم التي تنسل بخفة في باطن الطين لتترك الفسائل أمانة بين يديه ويتأكد مـــن انتظام المسافات فيما بين الفسائل. يبتسم، ثم يغلق مجرى المياه، ويجلـــس بجانب النخلة ليجهِّز لكم شايا على أعواد البوص، "الشدة يا شباب"...

لغة الريح

قالت له الريح وهو يدور في فلكه المعتاد: "ألن تتوقف قليلا وتحاول أن تحس بالحياة؟" وكأنه لم ير الريح أمامه، أخذ يهزّ رأسه ويستعيذ بالله من شيطان رجيم قد يحيده عن صراط مستقيم. لكنها عندما أعادت عليه نفس السؤال، بدأ يبصر أطرافها وكأنها خيال يحاول أن يغويه أو أنه بدأ يخرج قليلا عن الفلك. وعندما لم يردّ عليها، ألقت عليه السؤال في غضب. تذكّر مثلا يقول: "الثالثة ثابتة". وأخذ يزيل ما على عينيه من غشاوة وبدأ يتوضأ على مهل كي يتطهّر لينصت باهتمام أو يتأمل السؤالَ. تداخلت خيوط حياته أمام عينيه وكأنها نفس اللون والملمس. استبشع التكرار وهاله أنه طوال أربعين سنة لم يخرج على هذي الألوان ولم يلمس شيئا غيرها وكأنه محبوس في خيوطها أو كأن الخيوط تنزل ستائر سميكة أمام عينيه فلا يستطيع أن يرى جديدا أو يغيّر زاوية نظره. فكّر في أن يثور على كل شيء، لكنه أحس بسَكينة اللحظة وأحس بأن الثورة عمل صبياني سرعان ما سيتعود عليها وتصير جمودا. فقط غض النظر على كل ما فات أو نظر إليه من زاوية الريح وفكّر في الطريق الجديد الذي يمكنه أن يسلكه حتى يطرب للغة الريح في أذنيه.

المَلك الذي سيجيء

مهداة إلى بهاء طاهر و"أنا الملك جئت"

يراها تتروي. تفر بعيدا عن لغة الصحراء. تتخذ الاعتيـــاد "هُـــبَلا" وكانت لغة "الفتح" قد تفتَّحت للألسنة المواتية. تترك بهجتـــها عرضـــة لقطّاع الحياة.... كانت عيناها ظلاما، فصارت عين شمسا وعين قمـــرا، كانت ربوعها سديما، فتشكلت منها الأنهار والبحار واليابسة والمحيطات، كانت أنهارها رقراقة هادرة، كانت نماء فاخضرت اليابسة، نبتت الغابات والأشجار والمحاصيل، كانت خصوبة، فتدفقت الأرض حيـــاة وأحيـــاء، كانت، ولكنها لم تكن تعرف إصرارا أو تدرك تحقُّقـــا... لم تـــستجبْ همس النخيل في أذنيها، لم ترَ فيه سوى تمرٍ مُجَفَّفٍ يُباع في الأسواق، مع أن الأسواق حكمة السائرين تيقظا. يَشْتَمُّ في همس النخيل حياةً ولغـــةً. يعتلي نخلة تندهه. يترك مُؤَشِّرَهُ في مهبٍّ الريح ليلتقط كل أثير. يكتشف لغة أبجديات لم يكن يعرف كيف يتهجَّاها فيها. يلتفت لها. يكتشف ثقة كانت خافية عليه. يقرأ سِفْرَ تكوين يتراءى على صفحة الرمال. ينطلقان في عمق الصحراء بحثا عن المَلِك الذي سيجيء.

الهواء البري

تسلق الجبل في دأب إلى أن أبصر رفاقه عند السفح طيورا تبحث عن حَبٍّ أو لحمٍ لا تجده. نظر إلى الجهة الأخرى من الجبل. لكن ما رآه صدم عينيه وأحبط توقعاته. وجد طيورا أخرى تكدح عند السفح وفي الوادي، تنقيبًا عن حَبٍّ أو لحمٍ في توتر وإرهاق. لكنه لم يسلّم نفسه للإحباط. تمدَّد فوق قمة الجبل. ترك أنفه تسحب الهواء البري ليعشّشَ في جذور رئتيه وقلبه، وتقتنصه لتزرعه في تربة جسده. ربما نام قليلا، إذ أنه رأى نفسه كاسرا لا يدع أحدا يخطف لقمةً من بين منقاريه. وعندما انتشى وارتوتْ عضلاتُه، غيّر خطّتَه. لم يمضِ للأمام إلى الوادي خلف الجبل، بل عاد أدراجه محمَّلا بالهواء البري وعقله يدبِّرُ شيئا.

احترام

جلستْ متوترة تحاول أن ترتِّبَ كلَّ شيء حولها. لم ترفع نظرها إلى التليفزيون في الدقائق الأولى وأخذت تحدثني في حسرةٍ أو تذمرٍ عن كل ما قرأته من تعليقات على الأخبار الرياضية على النت. نظرتْ إليّ وقالــت محاوِلَةً أن تجد قدرا من الاطمئنان: "منتخبنا قوي، ألــيس كــذلك يــا حبيبي؟" ربَّتُّ على يدها وأنا أحاول أن أستلَّ قدرا من توترها قائلاً لهــا: "يكفينا أنهم محترمون ومتفاهمون فيما بينهم؛ ليت كــل نُخَبِنَــا تكــون مثلهم". أغمضتْ عينيها عندما احتسب الحكم ضربة جزاء لنا في الدقائق الأولى. وعندما سمعتني أكبِّر فتحت عينيها في لمح البصر ونهضت تكبِّر لله إلى أن بحَّ صوتُها وهي تتراقص وتنشد أغنية شكرٍ. وعندما أحــسَّتْ أن قلبها كاد يتوقف من الفرحة، سجدت لله شاكرة حامدة، ثم احتضنتني.

ثراء

قالت: "اليوم لي" وأصرت على الخروج. تجهّم للحظات ربما طالت، فما يكتبه لم يفرغ منه بعد. وإذا خرج ربما لن يستطيع أن يكمله. وعندما خرج، كان يحمل على وجهه تكشيرة، وفي قلبه قدرا من الكدر. لكنه عندما رأى فرحة أطفاله تتقافز في كل مكان وتعانق الوجوه وتجري مرحة وهي تهبه قدرا من ذاتها، أدرك وهم يحضنونه فرحين مهللين مستبشرين أن كدره ربما كان بلا مبرر وأنه عليه أن يعوّد نفسه على أن يعود إلى كتابته على فترات، فربما أضافت لها حالاتُه المتعددةُ وأمزجتُه المتفاوتةُ قدرا من الثراء والتعدد. وعندما رجعوا وجدها لا تعود إلى جلوسها وحيدة أمام الكمبيوتر تحاول أن تأنس بصاحباتها، بل افترشا الصالة وجلسوا جميعا للعب وتبادل الحكايات والثرثرة.

حياة التذكّر

قبّل أطراف أناملها في صدق ويقين كأنه يعتذر لها عن خطأ جسيم. تذكّر أنها طلبت منه أن يجلس معها لبضع دقائق قبل أن يخرج لزيارة صديقه المريض. لكنه ظلّ أمام الكمبيوتر إلى أن ارتدى ملابسه وخرج. فكّر أن يحضر لها هدية أو شيئا تحبّه، لكنه سارع بالرجوع علّه يعوّض ما فاته أو يعتذر عن عدم الوفاء بحاجتها إليه. نظرت إليه نظرة عتاب وهمّت أن تسحب أناملها من بين شفتيه. لكن نظرتها سرعان ما أغرقها الحنان فضمّها إليه وجلسا يتناجيان وهما يلاعبان ابنهما الرضيع.

وشوشة النخيل

تسلّق النخلة بحبل المطلاع الذي يربطه حول وسطه والبلطة الــتي في إحدى يديه. وأخذ يقلّم الجريد علّ النخلة ترتفع سامقة ويغزر طَرْحُها. لكن ثعبانا رابضا في قلب النخلة أرهبه فكاد يسقط. فركّز بحسٍّ غريزي كل عزمه في يده لتهوى البلطةُ على الثعبان وتقطعه شطرين. تطوّحَــتِ الرأسُ في الهواء من هَوْلِ المفاجأة وسقطتْ لتختبــئ في حذائــه أســفل النخلة. وشوشت له الريح في امتنان بموضع الرأس، وتحرُّرِها.

مطر وجبروت

نظرتْ إلى رجل وامرأة عجوزين كانا يتجولان بجانبنا تحت المطـــر ويتوكآن على ابتسامتهما وعشقهما للحياة، وقالت: "سيجيء علينا يوم نكون أنا وأنت هكذا". قالتها بسعادة غامرة وصدق أحســـستُ أمامـــه بالخجل من نفسي، إذ أنني لم أستطع أن أكون في قوة إحساسها أو أمـــد إحساسي للأمام لعشرات السنين. أخفضتُ عيني التي كانت تتسول النظر إلى النساء في طريقنا وابتسمتُ ابتسامة بذلتُ كل جهدي لأن أجعلـــها صادقة وتكون ندا لصدقها. ولولا "الهيئة"، لكنت احتضنتها في الشارع. لكنني اكتفيت بالنظر إليها راضيا، وأنا أحاول أن أحرر أحاسيسي مـــن جبروت قديم.

أوجه الانتظار

أدرك أن الوقت تأخر. لكن صديقه الجالس بجواره منتظرا على المقهى أمسك بيده: "فلتبقَ عشر دقائق أخرى". أحس في لمسته بالرجاء وأحس بأن عينيه تتهمانه بالخيانة. ولأن صديقه لم يكن قد فرغ من البوح، جلس لينصت إليه. لكنه نظر إلى ساعته وأخذ يحسب الدقائق، فاكتشف أنه لم ينصت إلى كلمة واحدة مما قاله صديقه وكأن الدقائق لم تكن سوى انتظار بلا طائل. فودّع صديقه لافتا انتباهه إلى أن أطفاله ينتظرون أن يحضر لهم العشاء، واعدا إياه بأن يكمل الاستماع إليه غدا بداية من مبتدأ العشر دقائق.

معرفة

حرصتُ عند عودتي وأنا أدق الباب أن أرسم ابتسامة حقيقية على وجهي وألا أترك أي أثر للتجهم. وحرصا مني قابلت زوجتي بقُبلة وأنا أدندن بكلمات أغنية مرحة. لكن يبدو أنني كنت مرحا أكثر من اللازم. فسرعان ما سألتني عن الشر الذي حدث قائلة: "ألستُ أعرفك؟ أنا أحفظك كاسمي. هل اتصل بك أحد وأخبرك خبرا سيئا؟ أم أن شيئا ما حدث لك في العمل؟" فأخذت أحضنها وأنا أحاول أن أخفي في صدرها ضعفي وأسئلتي وأسباب الكدر.

استطاعة

نظرتْ إليّ طفلتي باحتقان لا يخلو من عتاب وقالــت لي بــصراحة صدمتني: "أنت لا تحبني". ولكنها عندما احتضنتُها ولَفّتْ ذراعيها حــول ظهري محاوِلةً أن تضمني بأقوى ما يكون، أكملتْ كلامها: "لِمَ تــذاكر معي طوال اليوم وأختي الصغيرة لا تذاكر شيئا". هممتُ أن أقول لهــا إن واجباتها تفوق الاستطاعة أو أنني لا أتحمل الخطأ وحدي. لكنني اكتفيت بتقبيلها ودعوتها للخروج.

محاولةٌ للتأكُّد

أتحسَّسُ صوتَكِ وأنتِ نائمةٌ بجانبي، أجدُ الألوانَ قد عادتْ لتتشكَّلَ في صفحتي خضرةً ودفئًا، وأجدُني أتحسَّسُكِ لأتيقَّنَ من أنَّكِ لستِ سرابا. أقرصُ يدي لأزداد تأكُّدًا. وعندما أتيقَّنُ من وجودِكِ بجانبي، أحتـــضنُكِ وأتركُ أنفاسي تهمسُ لكِ على رسلِها.

سلامُ العاشقينَ

وجدتُه يهاتفني بالرغم من أنَّه يعرفُ أنَّ الوقتَ وقتُ نومي. "ألم تنامي؟"، سألني بنبرة توحي أنَّه يريدُ أنْ يطمئنَّ عليَّ. فَكَرَّرْتُ عليه سؤالَه، ولكنَّ نبرتي كانت مختلفةً نوعا ما، فلقد كنتُ متأكدةً من أنَّه لن ينامَ هذي الليلة قبلَ أنْ يواصلَ كتابةَ ما بدأه ويفرغَ منه. قال لي إن الخيوطَ تتداخلُ وهو يجدُ لذَّةً كبرى في فضِّ اشتباكِها كأنَّه يجاهدُ في سبيل الله ويحرِّرُ وطنًا. سألني من جديدٍ عن سببِ عدمِ نومي. قلتُ له إنني في السرير، لكني لم أنمْ، فهذه فترة الهدوء التي تخلّفها العاصفة، حيثُ تمكَّنْتُ من أنْ أعصفَ بقلبي ليستشيط غضبًا وانفعالا وتوقُّدًا على الصفحات، دون أنْ يتركُها إلا حبلى بالوعودِ. وقبل أنْ نستطردَ وجدتُه يستأذنُ ويُنْهِي المكالمةَ، قائلا إنه اطمأنَّ عليَّ وعليه أنْ يواصلَ اطمئنانَه على نفسِه. فدعوتُ له بالتوفيقِ وتركتُ نفسي للنومِ.

أغنية خضراء

كان يود الابتهاج. وبرغم كل الأصوات الصارخة والبطون الجائعة والشوارع التي ترزح تحت الحُفَر، أصرّ على التغني بأغنية خضراء وأخذ يردم حفرة كاد يقع فيها. وما إن انتهى حتى أخذ يلقي السلام على كل من يراه، ثم انطلق إلى خارج الحدود ليروي زرعا في انتظاره ويساعد جارا له في عزق الأرض حتى تنفتح بطنُها للشمس.

أن ترمي نفسك بحجرٍ

مشارف الصحراء

قال: نحن على مشارف الصحراء". فأخذتُ أتلفت حولي: لم أجد سوى نفس الكراسي واللوحات المعلقة على الحائط والتليفزيون وأرفف المكتبة في نفس الشقة بنفس الشارع من هذه المدينة الكبيرة. لكنه عندما أضاف أن الكثيرين لا يجدون عُشْرَ ما نأكله الآن، توقفت ونظرتُ إلى الأطباق أمامي. ولأول مرة أدرك أنني مبذّر إلى حد الشطط. لم يستطع أي منا أن يتناول شيئا بعد ذلك، فأعدتُ الأطباق بكل ما فيها إلى الثلاجة حتى أوفّر ثمن الوجبات القادمة لغيري، وأخذنا نرتشف الشاي في صمت وحسرة وقلق.

حصانك

"هل أنا الذي كنت أسدّ في وجهك الطريق؟"، بادرني بالسؤال وكأنه يعاتبني أو يلفت انتباهي إلى "افترائي" عليه. همّت نظرة غضب أن تطفو على وجهي، لكنني خادعتها وسلكتُ بها طريقا جانبيا إلى أن تلاشت في الزحام. أخذت أفكّر إلى أن وصلتُ إلى ما يمكن أن يكون سببا لسؤاله. ساعتها أدركت أن الكلمات العفوية التي ربما أكون لا أقصدها قد تترك انطباعا مغايرا لدى من أكلمه. فأخذت أتأسف وأسرف في الاعتذار. ووجدته يصافحني ويقهقه كأنه دبّر لي "مقلبا" وهو يقول: "لا تبتئس. فما بيننا أكبر من الكلام العابر في الجلسات العابرة. لقد كنت أناوشك فقط لأذكّرك كي تنتبه لكلامك مع الغرباء". ساعتها أدركت كيف أن لساني قد يخونني لحظة أن أعتقد أنه في كامل صدقه وكيف أنني قد أُحْدِثُ جروحا لا أحس بها.

منبع الكلام

لم أعرف ما الذي ينبغي عليّ أن أقوله في تلك اللحظة. لذلك حدَّقتُ في الوجوه حولي علّي أسمع أصواتا تنبّهني. وعندما ظلوا صامتين كأنهم يخرجون لي ألسنتهم المتواطئة، نظرت إلى نفسي في أسى واحتقار. ثم أغمضت عينيّ كأن هاجسا دعاني لتركهم والإنصات لصوتي الخافت المتعَب. ساعتها وجدت رأسي تبدع الحِيَلَ في اختراع الألفاظ التي تقولها في أي وقت، في أي مكان. فظللت أقول طوال الليل كلاما استغرب أنه يصدر منّي.

براقش

ظلام، الهواء راكد، أرقد، أكاد أختنق، يراودني الأمل في الخروج، كثرة الجلوس أفقدتني الكثير، أتماسك، ألملم جسدي المبعثر، أحاول النهوض، تخونني قواي، أعيد المحاولات في رجاء، أنهض، أتحسس طريقي إلى الباب، موصد، يسكنه التراب، فترة طويلة نسيتُ خلالها نفسي وكل شيء، بل لم أحس بالهواء الراكد والظلام.

أدق الباب بكل قواي، لعلّ أحدا ينقذني، ينفد صبري، أختنق، لا أستطيع الاستمرار، أتوق إلى الهواء المتحرك، إلى النور، أستجمع قواي، الباب لا ينفتح، ألقي بكل ثقلي عليه، يضطرب، أكرر إلقائي، ينفتح، أجدني في حجرة أخرى أكثر إظلاما، أتحسس الحائط، مفتاح كهربائي مكسور، أرجع، أتحسس، شباك، أدق بعنف، أصرخ، أستغيث، أدق، يُفتح الشباك، أحد المسامير التي دققتُها من قبل تنغرز في عينيّ.

حُرمة الألوان

نظرتُ إلى كل ما كتبوه بقلمي على السبورة، ثم استدرتُ إليهم وأنا أحاولُ أن أستفزَّ فيهم إحساسا أو تذكُّرا لما نبَّهتهم دوما إليه. درتُ بعيني على الوجوه إلى أن ابتسمتُ وثبَّتُ نظري على أحدهم أتوسم فيه الجَدِّيِّة: "قل لي يا شيخ عبد السلام"، ووجدهم يتضاحكون عندما سمعوا عبـــارة "الشيخ عبد السلام"، كأنني ألقيت نكتة طازجـــة. قـــررت أن أدعهـــم يضحون قليلا حتى يستطيعوا معاودة التركيز في المحاضرة من جديـــد في وقت القيلولة ذاك. بعدها واصلت سؤالي: "هل هذا الإهدار للاســـبرتو والقلمِ حلالٌ أم حرامٌ"، فضحكوا وضحك وأنا وسَّعْتُ ابتسامتي. فقال: "هذا يتوقف على لون القلم، إن كان أحمرَ فحرام، وإن كان بنيًّا يجـــوز، وإن كان أخضرَ فحلال"، وأكمل ضحكته. فضحكنا جميعـــا ثم عـــدنا كأننا في بداية المحاضرة.

تحرُّر بنقاهة

"أنا لا أعرف شيئا"، قالها لي وهو يحكُّ ذقنه الخالية من الشَّعَرِ ويبتسم نصف ابتسامة تشي بالخجل أو الحيرة. فسألته: "لماذا؟ ما الذي لا تعرفه بالضبط؟"، قلتها بِخُبْثٍ وأنا أستحضر في ذهني لقطة من أحد الأفلام المصرية، لكن يبدو أنه لم يلتقطْ مُزاحي، فصمتُّ قليلا، ثم توجَّهتُ إليه، فقال لي: "يبقى على نحو شريف". لا أدري إن كان يردُّ على تلميحي أو أنه كان يحاول أن يُفْهِمَني أنه أذكى منّي. لكنّ ما أضافه زادني حيرة: "تمكّنتُ من التحرُّرِ منك بنقاهة". لم أجد في ترجمته صدى لمعنى البيت الأصلي، كما أنني لم أدرك مغزى علاقة النقاهة بالتحرّر. لكنني نظرت إليه مبتسما وانصرفتُ سعيدا بذكائه.

سحلب

قال: "أنت المغيِّر وأنت المبدِّل". ابتسمت بالرغم من أنني أدرك نفاقه. لكن بسمة واحدة لا تضر أحدا وستسعدني للحظات. أكد كلامه عندما استفسرت عن معناه، قائلا: "أنت مَنْ تبدِّلُ حفَّاظةَ السيد عندما تمتلئ". فسددتُ أنفي وسلَّمت عليه سلاما حارا وأكملنا تناول السحلب.

تقلُّبُ النظر

خلع نظّارته لينظّفها. وعندما لم يرَ المعالم واضحة أدرك أنه في حاجة إلى التأمل حتى يرى الأشياء على حقيقتها. فقرر ألا يلبس نظّارته إلا عند الضرورة ليترك لعينيه حرية الرؤية وليستمتع بلهوها ومرحها عندما تنطلق بعيدا عنه.

على هامش الحميمية

أمن النبوءات

كان الضوء يأخذ وقتا أطول من عمره. وكنت أَمَلُّ التطاولَ. كنت أكره الامتدادَ. فأخذتُ أعبث في يديّ علّ لفائف الإشراق التي سَمَجَتْ تطوي نفسها وتنصرف. لكن الكلامَ نفسه أخذ يطرق باب أذني للمرة الألف دون أن يملّ أو أُحسّ بنبرة واحدة منه. ولأنني أدركت أن خروجي في ذلك التوقيت سيُحْسَبُ عليّ ويجرُّني إلى قائمة الهامات ومساءلات في العمل وفي العلم لا تنتهي وربما حتى تكفيري كأنهم يحاسبونني على أنفاسي، خلدتُ إلى الصمت والبحلقة الفارغة إلى الوجوه "المشرقة" التي تتكلم. بينما أفسحت لعقلي وقلبي المجال ليتنشيا خلف حجاب الجسد ويرتعا في إشراقهما، ينسّقان حركاتهما وانطلاقاتهما ويشّان التدفُّقَ فيما يراودني من أحاسيس لا يحتويها سوى الورق الصامت في ذلك المكان. حاولتُ ألا أُلفتَ الانتباهَ بانخراطي في الكتابة فأخذت أزاوج بين النظر إلى الورق وحركةَ القلم وبين النظر إلى الوجوه "الباسمة" أمامي وكأنها تطلق نبوءاتٍ طازجةً بشرى لنا جميعا. لم أدرِ كم من الوقت مضى. لكنني أحسستُ من الحركة حولي ومن صمت "الإشراق" أن النبوءات أخذت هدنة وأننا يحق لنا الخروج الآن. لكنني قبل أن أخرج تدبرت حركة قدمي أو أنهم سألوني عن رأيي. لم أعلن شيئا. فقط تكلمت كلمات عامة ربما يفهمها البعض على أنها ثناء على ما كان من المفترض أن استمع إليه بامتنان. أو ألقيت نظرة امتنان دُسْتُ عليها أو أنني بعثرتها على الوجوه كي لا يتصيّد لي أمنُ النبوءات خطيئةً يحاسبني عليها أبد العمر دون أن أطلق أيادي دمي على الورق، شاهدة على جرمي وجرمهم.

رؤيا الألوان

قالت: "ما كل هذه النقاط الصفراء التي تملأ الحوض والصابونة وتتسلل إلى يدي". كانت نظرةُ الفزع في عينيها وملامحُ الألم على وجهها صادقةً. لكنني فحصتُ الحوض ونظرتُ إلى الصابونة ويديها، ولم أرَ شيئا. عندما أحسَّتْ بأنني غير مصدِّقٍ لها أو لألوانها الصفراء، قالت لي: "اذهب والبس نظارتك علّك تصدِّقُني". نظر الأطفال إلى يديها وتناقلت عيونهم النظرات بينها وبيني. لكنهم لم يثبتوا شيئا، ولم ينفوا شيئا. فأعدتُ النظر ووجدت الصابونة مازلت بنفسجية اللون والحوض مازال أبيض. لبستُ نظارتي ولم يقوَ نظري أو أبصر النقاط الصفراء. أسرعتْ ابنتي إلى الحوض الآخر ثم عادت بالصابونة الأخرى وأعطتها لأمها التي نظرت إليها ورأتها مليئة بالنقط الصفراء. استعذت بالله من الشيطان الرجيم وتشهَّدْتُ وأنا أحضنها وأحاول أن أمنعها من الغسيل المحموم ليديها والحوض. كانت تحاول جاهدة أن تفتح عينيها، لكن نظرتها كانت شاخصة كأنها نظرة عيون ثابتة في لوحة معلقة على الحائط بالصالة. احتضنتُها في قلق وخرجتُ بها إلى الصالة. أخذتُها في صدري وأنا أغمض عيني عساي أفتحهما ولا ترى نقاطا صفراء على كل شيء حولها. ولكن عندما وجدتُ كل شيء حولي نقاطا بيضاء كأنها الكفن، سارعت بفتحهما وأنا أقبّل شعَرَها وأنظر إلى أطفالي في شفقة.

رحلة مُجزية

قال كلمة مجنونة وأخذ يرتشف كوب الشاي في شوق كأنه يتلهّف لطعم الشفطة الأخيرة على لسانه وأثرها الباقي في قاع حَلْقِهِ. نظر إلينا قائلا: "ألم أقل لكم للنَّفَسِ الطويل رحلةٌ مجزيةٌ؟"، قالها ثم استدار إلى كوبه الفارغ وأخذ يقلبه بالملعقة ذاتها ويده تسارع حركتَها كأنها تسابق الزمن أو تصارع الرياح المتجبِّرة. نهض وتحرك نحو المنضدة بجوارنا وأحضر مجموعة من الأكواب الزجاجية الصغيرة وبدأ يقطِّر في كل منها رشفات مما في الكوب الأكبر الذي كان يقلِّبه للتو. دار علينا بالأكواب.

- ما شاء الله.

- لذيذة فعلا.

- أحس بثراء طعمها في قاع حلقي.

- يبدو أنك أكثرت من النعناع البرِّيِّ.

- لم يكن نعناعا يا رجل. كان قرنفلا.

في البداية أحسستُ بغرابة تكمن وراء هذا الحوار، لكنني سرعان ما اندمجتُ ووجدتُني أتأمَّلُ كل تفصيلة من تفصيلاته وكل حرف من كلماته كأنني أرتشف عصير توت بري لا أستطيع أن أبعد نفسي عن مرارته ولا

أستطيع أن أحدد تلك الحلاوة المجزية التي تشدّني إليها كأنها الإغراء ذاته.

قام من بيننا وعلى وجهه علامات أسفٍ، قائلا: "معذرة يا رجال. كل ما استطعتُ أن أجهّزه لكم اليوم هو هذا الشراب. ربما أتمكـــن في الأيـــام القادمة من أن أجهّز لكم غداء كاملا". فخرجت أودّعه إلى باب المنضرة وأقف بجواره إلى أن يركب حماره. نظرت إليه وهو يبتعد وتحسست بطني لأربّت على حركة حنين وتلهّفٍ إلى الغداء المنتظر.

تحنيط

رأيته. رأيته فعلا أمامي على صفحة النهر. كان أكبر مـــن صـــورة وأدفأ من إحساس. كانت الأحاسيس تتزاحم داخلي كأنها تهلل ترحيبـــا به أو اقترابا منه. لكن الصيادين المتربصين من فوق الكوبري ألقوا عليـــه صنارتهم ليختطفوه أو يحنطوه في عُلَبِ صفيح مملَّحَةٍ.

صور مُحْرقَة

أخذ يتكلم عن الحميمية والدنو بدون احتراق. فنظر إليه الواقف على المنصة وقال له: "اخرج أيها الكافر". خرج. لكن من كان يتكلم عنه خرج معه وترك من بداخل الأسوار يدورون حول أنفسهم وصورهم الناريَّةِ.

هاتف

لم أره منذ سنوات. لكنه خطر على بالي فجأة بدون سبب. فبحثت عن رقم هاتفه المسجل على هاتفي وطلبته. وعندما سمع صوتي وجدته يقول لي: "هل تتصور أنك ابن حلال؟! أنا في الطريق إليك وأوشكت أن أصل إلى المقهى". فطلبت له مشروبه المفضل وأنا في قمة انتشائي دون أن أعرف لذلك سببا.

على هامش التوجُّس

جمع غريب

- ماذا بكِ؟

- أمجنون أنتَ؟

- أنتِ التي تبدين مهمومةً.

- وما شأنكَ أنت حتى تتطفّلَ على همّي؟

- لا شأن لي. فقط رأيتُ همًّا فأحسستُ أنّ بإمكاني أن أزحزحه قليلا.

- وهل تعرفني؟ إن كان أقرب الناس إليّ لم يزحزحوه.

- ليس شرطا أن أعرفك. فقط أنت إنسانة مثلي.

- كلنا نسانيس.

ضحكتُ. و لم تستطع أن تكتم ضحكتها على جمعها الغريب. لكنها سرعان ما استعادت التقطيبة على وجهها ونظرت إليّ مُهَدِّدَةً مُنْذِرَةً.

مستجَدّات

عندما لمح البسمة تتراجع بألم من على شـــفتيها، أدرك أن هنـــاك مستجدات. قبل الآن كان كل شيء يبشّر بأنها ستعاند تجهيلها. قالـــت مرتبكة:

- فلنتوقف.

- ماذا جرى ؟!!

- فلنتوقف، كرَّرَتْها محاوِلَةً أن تبعد عينيها.

عندما انصرفتْ لاحظ دمعة تسقط في الطريق أمامها ولاحظها هي تتعثر في خطوتها. انفجرتْ ضحكاتٌ ساخرةٌ لا يدري مصدرها. فأسرع وراءها ليحصّنها ويحصّن نفسه ضد الضحكات الساخرة عله في يوم...

خاطر

كان الأتوبيس يسير به إلى محطته البعيدة. لكنه في منتصف الطريق أمام الجامعة قرر أن يترل فجأة بدون سابق إنذار. أحس بأنه سيراها بالرغم من أنه لم يرها منذ سنوات. خطا بخطوات واثقة إلى القسم القديم، فوجدها. سلّم عليها سلاما دافئا كأنهما أصدقاء قدامى وكفى. كتم الرعشة التي احتوت يده، وحاول أن يمحي كل التاريخ الذي تجمّع فجأة في لمسة أكد لنفسه أنها لابد أن تكون عابرة. دعا لها بالتوفيق والسعادة.

حاولتْ أن تستبقي يده عندما تيقّنتْ من زوال نظرة الانكسار عن عينيها وبزوغ دفقة حياة حقيقية في دمها. لكنه سحب يده في وداعة بعد أن ملأ عينيه برؤيتها، ثم انصرف مؤكدا لنفسه أنه اطمأن على وجودها واستمرارها، مكتفيا بإشباع حنين إلى لحظة ولّت. ولّت ولا يستطيع الآن أن يشبعها، إذ أن الطرق تباعدت وسار كلٌ في طريق.

بحر يفكّ شفرتها

عندما خرجتْ من البحر بكامل ملابسها، غافلت عيونـــا تلتـــصق بجسدها كأنها الحرام. لكنها لم تبصر سوى رغبة تافهة كبقايا الـــسمك المشوي على الشاطئ، لا يعبأ بها أحد أو يضعها في سلة القمامة. نظرتْ بقرف إلى العيون المتلصصة كأنها فستان تلبسه تحت عباءتها لا تقدر على سعره ولا ينظر إليه أحد. فقط تتأمله في مرآتها ساعة الاختلاء كفاكهـــة محرمة.

جلست على كرسيّها تنفض عن جسدها دغدغة البحر كأنها تفقـــأ عيون الناظرين بإبرة لتحرق الورقة وسط ملح البحر. لكنها غافلت العيون مرة أخرى واستبقَتْ بيض السمك علّه يلتصق برحمها ويفرخ في عينيهـــا يودا وأسماكا ودفئا.

حزن العاصفة

-١-

حينما حزنتْ على نفسها من إشفاقه، جفَّفتْ دموعها وأخذت تصمت رويدا إلى أن هبَّت واقفة كالعاصفة تدعوه للمبارزة.

-٢-

قال كلاما كثيرا، لكنني لم ألتقط من كلامه شيئا سوى أنه مر غاضبا دون أن أعرف سببا، دون أن أتفوه بكلمة.

-٣-

كلمة تحوم في الهواء حول رأسي. تحاول أن تجد فتحة تدخل منها. لكن أعضاءها تتهاوى دون أن تتمكن من أن تترك بصمتها، دون أن تتجسد على لساني، فأقوم كالعاصفة من مقعدي وأهبُّ في وجهه.

-٤-

هل كان هنا بجانبي أم أنه كان يجلس على المقهى بجواري، أو كانت هي تشمئز من شفقتي. كانت وكنتُ أو مازلتُ هنا أعدُّ كلماتي العاجزة أمام أسواري وأرشُّ لها بيدي الماءَ علَّها تقوى أو تنتفض لتنفخ في الجدار فينهار. تعتلي هي سماء عيني وتحلق في خاطري.

أشباح العيون

البنت تجري في الظلام خائفة من أبيها. سيضربها. تكلمت أمام بنات الجيران عن مكان البندقية. تتسلل أحيانا من بين إخوتها الصغار لتنظر من فتحة الباب. في الصباح تقول للبنات إنها رأت أباها يركب أمها حمارة. تتسلق شجرة النبق أمام البيت. على ضوء القمر تلمح بعض الثمار. تمد يدها. يمتد إليها صوت. تلتقط الثمار. تجد شيئا يمر على رجلها. تصرخ وتقع من على النبقة. تُسرع أمها: "البنت صغيرة، لا تفهم ما تقوله" وتشعل النار في الملح وقطع الخبز وأعواد البوص المكسّرة. تمسك يدها لتخطو فوق النار سبع مرات. يأتي أبوها، يضربها على رأسها: "عيب عليكِ، ما أنت بصغيرة"، ويهمس لأمها فتدخل وراءه. هادئة من الرجفة، تحملق البنت بعينيها اللامعتين من فتحة الباب. يلمح الأب بريق العينين. يسدل طرف جلبابه على رجليه. يرى عيونا في كل مكان. تربّتُ عليه الأم. تحملق البنت من فتحة الباب، وفي الصباح تخلد للصمت.

حاجز الأبوة

أصدر لي أوامر كثيرة في نفس الوقت. وفي كل مرة كنت أقول لـــه مبتسما: "حاضر. سأفعل". فغضب في وجهي قائلا: "هل تتصور أنـــك قليل الأدب؟" ولأنني لم أتعود أن أقبّله أو تسري بيننا الحميمية في الحوار، لم أستطع أن أعتذر له بحبٍ أو أبتسمَ وأوضّح له مدى احترامـــي لـــه، واكتفيت بأن ذهبت بعيدا كي لا أغضبه.

أجيال

"يا ابن أمي لا تعصف بي"، قلتُها له وأنا أحاول أن أتـــصالح معـــه بصراحة جديدة علينا. همّ أن يقوم بدور الكبير كعادته ويوجّه نـــصائحَ بأسلوب آمرٍ أو متعالٍ يقع على أذن صمَّاء لي. لكنه صمتَ عندما نظـــر في عينيّ، وكأنه يحاول أن يستدرك ما كان سيقوله أو يجد كلاما جديدا يصل إلى أذني. قلت له بمواربة: "انتهى زمن القبائل"، محاولا أن أجعلـــه يسترجع شبابه وقدرته على التأويل. وبما أننا كنا جميعا أصغر منـــه ســـنا وكانت نظرات منتظرة تبدر في عيون الباقين، ابتسم في حنان أبوي بسيط ثم ترك الساحة لنا واكتفى بدور المستمع. فقط كان يبتسم لنكتة تبدر من أحدنا. ولكن شفتيه كانتا تتحركان من آن لآخر في توتر وكأنهما كانتا تودَّان أن تنفجرا في وجوهنا نحن الذين لا نعرف شيئا ســـوى "الطـــيش والأحلام".

ردم القنوات

وسط طغيان الغربة، أحسستُ بالحضور الطاغي لأمي كأنني كنـــت في حضرتها، فعاودني الحنين إلى سماع صوتها. لكنني عندما طلبت رقـــم بيتنا، وجدت الهاتف قد تم تخصيصه بعد أن تنازع إخوتي واعتزلوا بعضهم البعض. ووجدت نفسي لا أستطيع أن أصل إلى صوت أمي. أحســـستُ بأن لذلك الهاتف غربة لا تقل عن غربتي، فازداد حنيني وازدادت غربتي، دون أن آنس بصوتٍ يدفئ صوتي. وعندما عـــاودت الاتـــصال، ردّت زوجة أخي، ويبدو أنها خجلت مني فلم تقل لي إنها لن تُحضر لي أمـــي، بل تركت السماعة مفتوحة وتركتني أنتظر أبد المتصلين كأنني واقف على حدود وطني ولا يحق لي أن أدخله أو أمزج صوتي بصوت أمي.

تحت القبة

وقفتْ في الهواء أمام الأسلاك. دارت على باقي النوافذ فوجدتها كلها مغلقة. كان المنظر مثيرا بالنسبة لها. "ما الذي يدعو سكان هذه الشقة للتحصّن خلف كل هذه النوافذ والأسلاك، فلا يَتْرُكُون لنا فرصة للدخول أو الاستكشاف أو الزيارة". حاولت أن تمرِّر جسدها من بين الأسلاك، لكن المسافة بين هذه الأسلاك كانت مربعات ضيِّقَةً لا تُدْخِلُ شيئا سوى الغبار. هللتْ عندما رأت نافذة تُفْتَحُ وصوتا ينادي على بائع أنابيب الغاز، فتسللتْ خفية قبل أن يغلقَ النافذة. أحسَّتْ بنشوة عجيبة وسط هذه الأجواء التي لم تدخلها من قبل. حاولت أن تستكشف المخابئ أو الكنوز التي يخبئها أهل هذه الشقة خلف كل هذه النوافذ والأسلاك. لكنها لم تعثر على شيء، فكل شيء في الشقة ربما حتى يقل عما هو موجود في الشقق الأخرى. "أهلا، لماذا كل هذه الأسلاك والنوافذ؟ أتكون مصيدة أو فخًّا يصطادوننا به؟ لا يوجد شيء فريد في هذه الشقّة"، ولكنها لم تكمل أفكارها، إذ أنها سمعت صرخة مدوية وسيدة تنظر إليها في فزع ثم تجري في أرجاء الشقة وهي تنادي على رجل ربما كان زوجها الذي فتح النافذة. "يبدو أنهم خائفون أيضا"، قالتها وهي تحاول أن تعوِّض خيبة أملها بأن تطارد هذه السيدة، ولكن من تحت السقف مباشرة كي لا تعطي أحدا فرصة لاصطيادها أو قتلها.

عصفور

أجلس عليّ كرسي في الشرفة. يقطع خلوتي عصفور. أطير معه. أبعد عن الأضواء الرمادية والسوداء. نتسابق. أسبقه. يحاول أن يلحق بي. أحط على شاطئ النهر. أميل برأسي. أشرب. يلحق بي. أضحك.... يحط عصفور آخر على الشرفة. يلتحمان في الهواء. يتلامس منقاراهما. همس حركة في شفتي. "تتكئين عليّ. ما أجمل شاطئ النيل من هذا الجانب! أسعد بيومنا الأسبوعي هذا. يجعلنا ننهل من انسياب الماء وحركة الشوارع. أتأمل حركةَ الماء وخضرةَ الشوارع وإشراقَ الوجوه. تسبي المياه عيونكِ، فينسجم بريقُهما مع الرقرقة. نفقد اعتدالنا. نتسابق. ألحق بكِ. أضمك إلي صدري. تستكينين وأستكين. أسكن وتسكنين. لا شيء يدعونا للإسراع، فلنتجوَّل حتى نصل إلي شقتنا". يتبول العصفور على طرف قدمي، فلا أقدر على الميل لأمسح شيئا.

أميرة النصابين

لن تجدي أحداً يعتنقك يا سيدتي. هل تعتقدين أن ما يعجبك فيّ سيستمر هكذا دون تغيُّرٍ؟ ماذا تجدي الرقة والإحساس وأنت تحاولين أن تسخِّريهما لكِ ولكِ فقط؟ ثقتك بوجودهما تجعلكِ لا ترغبين في الخروج؟ أتثقين في الطِّيبَةِ التي تدعمُهما؟... ها أنت تعتلين قمة الجبل وتنادين في البشر النيام – من منظورك طبعاً – "لا امرأة إلا أنا، لا مخلوقة إلا أنا"، ولولا أنك تخشين التمرد الكامل عليك واللعنة الأبدية لقلت: "لا خالقة إلا أنا". تتوقعين عند نزولك أن أُهَلِّلَ ببشراكِ التي ستخلِّص البشرية. لا. لن أنتظرك يا أميرة النصابين. أختمي فاتحةَ قولكِ بدعاء الله أن يجعلك من غير المنصوب عليهم ولا الدافعين؟! إنني رحلتُ يا... أتْرُكُ كل عالمكِ الآن. أسيرُ بجانب جدولٍ صغيرٍ، ربما ليس فيه ماء وما أراه مجرد سراب، لكنني على الأقل سأتخلص من وهمك. سلام يا...

مظلة ذات ثقب أسود

مساءلاتٌ

نظر إليّ بتشف كأنني كنت السبب في عقمه. حاسبني على كون بلدي أقدم تاريخا وأكثر فاعلية من بلده. كان يصر دائما على أن يفرض عليَّ سلطته ورئاسته لي، ويتعامل معي على أنني لا شيء. وفي الصباح كانت حمرة عينيه وغضبه مني بلا مبرر يشيان بأنه رآني في كابوس ما. وعندما رآني أمامه رفع جواز سفره الأوربي في وجهي بالرغم من أنه يتحدث كثيرا عن بلده العربي، وحوّلني لمساءلة على تقصير منّي لا أعرف عنه شيئا.

على الطريق

أخذ يلوّح بمطواته في وجهي. لكنني رفعت رأسي وأخذتُ أنظر إليه كأنني أريد أن أتحقّقَ إن كان هناك أحد أمامي أم لا. وعندما وجدني أنظر إليه نظرة استهزاء وأمضي على طريقي ولا أحيد عن هدفي وسَكِينَتي، رشق مطواته في ظهري وهرب.

مشاعر بالية

كان الفرح يلوّنني بألوان الطيف وثرائها عندما كانت قدماي تتلهّفان للوصول إلى قاعة ذلك الحفل الجامع. فبالتأكيد كنت سأتعرَّفُ على إخوة لي لم يسعدني الحظ بالتعرُّفِ عليهم أو زيارتِهم من قبل. لم أبالِ بِـــتَجَهُّمِ أحدهم عندما رأيته ومددت له يدي مصافحا. لكنه اكتفى بكلمة "أهلا" وأبعد كلماتي المرحِّبَةَ عن أذنه وكأنه يصدُّ كرةً تحاول أن تدخل مرماه. فأدركت أن فرحي عبيط وأنني ساذج إلى حد تصديق نفسي ومشاعري البالية.

اللعبُ في الخفاء

عندما أدركَ أنَّ خطَّتَه لنْ تعودَ عليه بما قصده، رمى الكرةَ في ملعبِ غيره وانتظرَ دورَه للعبِ في الخفاءِ من وراءِ ستارٍ سيصنعُه على مهلٍ كي لا يكتشفَه أحدٌ.

سقوط وعلو

غرس مطواته في صدري بحماس، كأنه يزرع وطني بالمحبة ويــرفعني عاليا في سمائه. لكنه اندهش عندما نزعتُ مطواته من صدري، إذ أنه كان ينتظر أن أسقط أمام عينيه لتعلو قامته. لكني نهضت في ثقــة، مــستهينا بدمائي. تركته يشرب دمي المتساقط علّه يرتوي. ثم انصرفتُ وأنا أعيــد ترتيب حساباتي القادمة وأحاسيسي القديمة.

لسان الحجارة

عندما وجدتُ أبناء عمي يسرعون نحوي بأسلحتهم البيضاء وقلوبهم السوداء، اختبأتُ تحت عربة نقل واقفة بجانب الرصيف. وجدتُ أخي يختبئ تحت نفس العربة ودماؤه كادت تجفُّ. تناقلت لمساتُنا معاني متقاربة. لكنني وجدته يحاول أن يخرج وهو يجمع الحجارة من تحت العربة، فأمسكت بيده محاولا أن أمنعه من الخروج وأقنعه بأنه لا يجوز لنا أن نقضي عليهم لأنهم مهما كانوا طائشين فَهُمْ منا ونحن منهم. ووجدته يزجرني ويستخِفُّ بكلامي ويسخر منهم، قائلا: "هم الذين بدأوا. هم الذين هاجموا". وأخذ يرجمهم بالحجارة فتفرقوا. و لم أحس إلا عندما وجدت أحدهم يختبئ تحت العربة بجانبي. وعندما رآني لم يمهلني وقتا وطعنني بمطواته في صدري. ترددتْ كلماتُ أخي وسخريتُه في أذني وأنا أصرخ محاولا أن أستجدي أحدا ينقذني أو يُتِمَّ قتلي.

توقيف

قال: "مرّ عليّ كي ننصرف سويا". فلفتّ انتباهـــه إلى أن موعـــ
انصرافه بعدي بساعة. لكنه أكّد أنه سينصرف معي في سيارتي.

بعد أن تحطّمت السيارة وخرجنا منها بشروخ في العظام، كان علي
أن أتوسّل لأن يتنازل عن محضر لم يكتبه وكأنني أنا الذي هشّمت عظام
وعليّ أن أظل في "التوقيف" إلى أن يستطيع الذهاب للمحكمة للتنازل.

ظل الشرطي واقفا على باب غرفتي بالمستشفى وكأنه سيقُصُّ رأسي
بمجرد الشفاء.

فعل منطقي

قال لي بعد أن أجبرته على الإنصات لي ولو لمرة واحـــدة: "كـــلام منطقي لا أستطيع أن أمسك عليه شيئا". ثم أمسك بـــرقبتي وحـــاول أن يغرز سكّينًا في صدري. لكن أحجاره التي رماني بها من قبل وقفتْ حاجزَ صَدٍّ بين سكّينه وصدري. فنظرتُ إليه ساخرا وانصرفتُ.

غيوم حبلى بالأقلام

تعثُّر

صامتاً جاء وصامتاً ارتحل؛ وما بين المجيء والذهاب، كلام يجـيء، يعاقر الأزمنة الخوالي، وينادم أطراف العمر. عندما نوى السفر، لم يمتطِ أيـاً من وسائل المواصلات، فقط ذهب، وأخذ يَعُدُّ النجوم. قالـت النجوم: "أتمنى أن أسقط إليه، نوره يجذبني؛ بريقه يسحرني... ولكـنني أخشى التفحُّمَ". صمتت الريحُ ووقفت خائفة ترتعش بين يديه، فتركها واستمر. عندما جلس ليستريح تحت شجرة، حاول غصن الـشجرة أن يداعبه ويحتضنه، فأدار له ظهره ونام. ولمّا وصل إلى وادي عبقر، ظهر له الجني وقال له: "لبيك سيدي، سأوحي لك بأجمل القصائد". فقال له: "لا أحب الشعر على لسان الغاوين". ومضى يتعثر، في بعـض الأبيـات أو السطور.

أسطورة

الولد يعاند تلك الأسطورة القديمة ويحاول أن يخرج من دوائرها. لكن العيون تنظر إليه باستهتار وتكتُّل: "كيف ينكر قداسة الجذور العتيقة؟" وعندما باءت محاولاته بالفشل، واصل طريقه. لم يسانده أحد. كل أهله قاطعوه: "يحاول أن يحدث انقطاعاً معرفياً في جذور الأساطير والأعراف". عندما وجد نفسه وحيداً يعاني الأسطرة والتجهيل والمضايقة، ترك المكان ورحل إلى مكان لا توجد فيه جذور.

كانت تأتيه الأنباء عن بلدته والأخبار المتناقلة هناك: صنعوا منه أسطورة تتناقلها الألسنة في كل مكان؛ أخبار مزيفة وما صدق منها فقط هو أنه ارتحل. نظر حوله في المكان الجديد: ينظرون إليه مخلّصاً جديدا؛ يذكرون اسمه عند كل المصاعب. حاول أن يُفهّمهم ويقول لهم حقيقته، لكن الأسماع لم تنصت إليه والعيون لم تنظر إليه إلا بالتقديس. أمسك السكين وغرسه في قلبه، فكتبوا بدمائه أسطورة جديدة ووضعوا اسمه عنوانا لكتاب أساطيرهم الجديد.

اشتعال الأسئلة

- أأنت فلان؟

- بفكره وقلبه وعصبه.

- أنا سكرتير جائزة...

- يا أهلا بالجوائز.

- يا مائة أهلا بالخسائر.

- لماذا؟

- لا شيء. فقط اتصلت بك لأخبرك بأن ديوانك "اشتعال الأسئلة" لم يفز بأي جائزة لدينا ولا حتى بالتنويه.

- نعم. اشتعلت الأسئلة وربما احترقت. لكن اسمح لي أن أسألك سؤالا.

- لا بأس. بشرط ألا يحرقني سؤالك.

- ما الذي جعلك تتصل بي؟

- سؤال لسع يدي فَطَلَبْتُ رقمَكَ.

- وهل تنقصني أسئلةٌ؟

- وما ذنب يدي حتى تحترقَ؟

- لا ذنب لي. لا ذنب لك.

- هل أغلق الخط؟

- أغلقه قبل أن ينفجر سؤال في أذنيك.

صداقة

عندما تجد نفسكَ تسكن في غرفة يتيمة بمفردك، ستحاول أن تجد لك مكانا أليفا في تلك المدينة التي لا يعرفك فيها أحد. فتوطد صداقتك مع القمر الذي يزور شرفتك ليلا. تلقي لبريقه ببعض الحروف، فتجده يلتقط الحروف وتنبت بينكما لغةٌ ذات لهجات عديدة، تختلف اللهجة حسب استدارته وتحول أيام الشهر، يبذر كلمات في شرفتك فتلتقطها وتنسج منها حكاية حميمة، فهو لا يبخل عليك بالألفة.

تتناسل الحكايات وتلد قصصا وقصائد وأقاصيص وتمتزج خيوط الود بين قلبك وقلب القمر. ساعتها ستناجيه وتتهامسان بكل الأبجديات المشتركة. وستعجب من شكواه لأنك كنت تعتقد أنه في عليائه بمنأى عن انحشار البشر وتدخلهم في شئون الغير. وعندما يحس باستغرابك، يجد بعض السلوى في شكواك فيربِّتُ على كتفك ويخلد للنوم.

رهن لا ينفك

يلقي الصنارة من على "كوبري المنيب"، ربما بعفوية، ربما باحتراف. يتلاعب الهواء بالخيط الذي يرهنها به، وربما لم يُرِد أن يكون طُعْمُه ثقيلا على السمكة. يرتشف رشفة من شاي صبَّه من "الترموس"، يتذكر شايا كان يجهزه بجانبه على نيل سوهاج، أو ترعة جهينة. يرتـــشف رشـــفة أخرى. يستشعر جفاء بين صنارته والسمك. "هل كان ارتفاع الكوبري سببا؟ أم تراها حداثته؟" ينتقل إلى "كوبري الملك الصالح"، أمام "ســـينما فاتن حمامة". يطيل النظرَ إلى أفيش فيلم "عايز حقي" وربما فيلم "ليه يـــا بنفسج"، ثم يهبط إلى الماء أسفل الكوبري. يدنو منه. يلقـــي صـــنارته. تصطدم بالطمي. تمرح بعض السمكات الصغيرات بجانبـــه بـــين عُلَـــبِ الصفيح. يمسك واحدة. تنظر إليه في عتاب. فيضعها في حنو في رحـــم الماء. كان قد تراهن مع أصدقائه بشقة الجيزة على من يحضر أكبر قدر من السمك، ولكن السمك يخاصم صنارته أو هو الذي يباعدها عنه. يلملـــم عدّته. يسير عبْر "الْمَنْيَلِ" إلى كوبري عباس. يشتري في طريقـــه بعـــض المخللات و"أخبار الأدب" و"العيش على الحافة" لشكري عياد. يجلـــس أسفل الطرف الآخر من الكوبري. ينتظر "المراكبي" في آخر الليل. يشتري منه ما اصطاده ويذهب به مستبشرا ليفاخر به الأصدقاء. وفي اليوم التالي عندما يكررون الرهان يتعلل بأنه مرهق ولا يستطيع أن يصبر على جلسة الصيد.

سونكي صاحب المعَدِّيَة

أمسك الفرشاة. غرز سونكيها في قلب ذلك الذي لا يتشكَّلُ في اللوحة، دقَّق النظر في كل الاتجاهات، فلم يستطع التعرف على الألوان... عندما نادت عليه قصة أخرى، وقالت "يا بشرى هذي حياة"، وجد قاربه مسروقا في عز النهار، ولم يكن صاحبُ المُعَدِّيةِ يقبل أن ينقل أحدا بلا مقابل... ولأنه كان قد آمن بالطين وبالنهر، خلع ما يستره من ملابس وألقى بنفسه في حضن النهر، ساعيا وراء تلك الحياة... سعل النهرُ، وعندما شفط هذا النهرُ الهواءَ بشدَّةٍ ليعوِّضَ انسداداتٍ في الرئة، كاد الفتى ينحشر في تلك الفتحات المريضة... إن ترك نفسه للتيار ربما يجرفه بعيدا عن الضفة الأخرى، عن الحياة، وإن لم يدرك نفسه فلا سبيل له للوصول إلى تلك الضفة... استجمع تلك اللحظات التي يتمسك فيها بذرات حياة و"عافر" عائدا إلى الضفة الأولى... أمسك فرشاته ولكنه قبل أن يغرز سونكيها في تلك الصورة، وجد بعض الألوان قد تبدلت وأبصر ملامحَ أوشكت أن تنبثق.

همسة عتاب

أمسك القلم بعد انقطاع دام مائة يوم ظن خلالها أن لعنة ما حلّت عليه وأدرك أن هذا الانقطاع يقطّع حياته ويبعثرها في أرجاء البلدات القريبة والبعيدة، وأن حياته ازدادت مائة عام تصلّبتْ فيها حركةُ قلمه في أرجاء الصفحات. كانت لديه رغبة في الكتابة ومغازلة تلك المعشوقة التي خبتْ حروفُها وانقطعتْ أخبارُها. ولكنه بعد أن أمسك القلم وخطّ بعض السطور انحسرت الحروفُ وبقي ذلك البياض الغبي للصفحات. وكأنه يحاول أن يثبت فحولته وقدرته على دغدغة الكلمات، أخذ يكتب ويكتب. لكن الحروف خرجت باهتة. أنهكته الكتابة، فوقع من على الكرسي مغشياً على حركته. وعندما زفرت الحروفُ ونظرتْ إليه بعتابٍ، أدار لها ظهره وبكى.

مقاطعة

اصطفى ركنا قصيا وظل يدوّن بعض أبيات أو سطور كان يرددها طيلة الطريق كي تكتمل. هز بطرف القلم فتساقطت حروف طيعة وكلمات لم تُبْتَسَرْ أو تفقد قدرتها على التواصل الذكي مع جاراتها، تودُّهم ويودُّونها وأحيانا تجفوهم ويجفونها. لم يكن يصدِّق أنه سيكتب مرة أخرى فطوال شهور عديدة لم تتولد لديه رغبة ولو فاترة في الكتابة، ظن خلالها أن غيابه والكتابة عن بعضهما البعض لابد وسيؤدي في النهاية إلى الجفاء والانقطاع، "البعيد عن العين"، حاول أن يجد أسبابا لذلك. لكنه لم يقنع بتبريراته. ومع ذلك لم يشجبها: قيدها في دفتر الأحزان وكتب عليها: "أحد عوامل التوقف". وبالرغم من أن البداية في الطريق كانت ضعيفة فإنه تمسك بها وظل يرددها. قال: "مجرد تمرين حتى وإن لم تلد شيئا يرضيني". انغمس في الكتابة أو هي التي انغمست فيه. كل ما أدركه أنها كانت مشتاقة إليه وهاهي الآن تلقاه لقاء العاشقين، ذاب في دفئها وذابت في حنانه، ولم يفق إلا على صوت السائق: "يا أستاذ نريد أن نكمل السفر". وكأنها أنثى خجلي، انصرفت وانحسرت عن وعيه، فنهض ضَجِرًا وركب في السيارة.

مايســـترو

أخذ يسير جيئة وذهابا أمامي، وقال إن ذلك من أجل "العمليـــة". لكنني لم أدركْ مدى حدود ما يقوله أو أبصرْ مركزاً فيما "يعمله"؛ لذلك انتحيتُ ركنا قصيا وانشغلتُ رويدا فيما يتقلّبُ في أحشاء قلمي. عندما وجدني كذلك، انتفض فجأة وأخذ يغنّي ويقلّد مايسترو فرقة موسيقية في صمت وانهماك. لم أشأ أن أقاطعه، ربما لأنني لم أُرِدْ أن أنشغلَ بأي شيء يلهيني أو يشتّتُ اهتمامي. رويدا رويداً رأيته ينسحب من مجلسه ويجـــيء نحوي. جلس وأخذ ينظر فيما بين يدي. أطال القراءة والنظر. بدأت يداه ترتعشان، ولم يستطع أن يواصل. جرى إلى منطقة غير بعيـــدة أمـــامي بالضبط، رسم دائرة بالطباشير وجلس وسطها، وعندما لم يرني أبتسم أو أعيره اهتماما، خرج. قاس الأبعاد بالضبط. حدد البؤرة وجلس فيها. نظر إليّ وابتسم. ابتسمتُ وقلبتُ صفحة جديدة. شرعتُ في الكتابـــة عنـــه، لكن ذهني انصرف عن كل شيء.

من على السلم

ألقى السلام. لم يجبه أحد. قال: "مساء الخير". لم تُسمع إجابة. هاله ذلك المنغرس في السلم مستغرقاً في الكتابة، متشبثاً بالقلم في هستيرية واضحة الحروف. بانت على وجهه علامات امتعاض، دهشة، شفقة.. تحيّن فرصة للصعود وبدون إرادة منه - وربما بإرادة - دهس رِجل الجالس. مازال الجالس يكتب ويغامر بالحروف. أحس بالعطش الشديد فازدرد دواة الحبر بجانبه وخط سطرين أتم بهما مقطعاً من القصة المولودة بين يدي قلمه... صرخ عندما وضع نقطة وتقلّب على السلم. ولتأوهاته هبّ جميع السكان، وجدوا الورقةَ بيدٍ، والقلم بيدٍ وما بينهما جسداً يتلوى ويصرخ. قال قائل منهم "نوبة صرع". قال آخر: "حُمَّى البحر المتوسط". أضاف ثالث: "عفريته طلع". منهم من قرأ القرآن. منهم من رتل الترانيم. وطائفة ثالثة لم تدرِ ماذا تفعل أو بماذا تفسر. رويداً، بدأ يهدأ .... نهض من على ردهة السلم. جلس على الدرجة التي كان جالساً عليها وأمسك بالقلم، أخرج ورقة أخرى من جيبه وانهمك في الكتابة، فقهقه كل الناس وعادوا من حيث أتوا، منهم من مازال يقهقه، منهم من بدأ يزرف الدمع، أحدهم فكر أن يتصل بطبيب "نساء وولادة".

أنهى هو القصة، فتنهد ودخل غرفته الواسعة.. ألقى السلام على زوجته. لم ترد ــ وجدها تكتب، فوقف يتأملها مبتسماً وهو يغلق باب الغرفة كي لا يتلصص عليه الجيران.

سطوةُ السياق

تكتظ في عينية علامات وترتسم في براح الأفق أشياء متحولة. يتذكر ما اعتقله يوما من نبضات تفور داخله، لكن العلامات لا تسايره. تصدّه كما لو كانت تريد أن تذكّره بشيء، أن تلفت انتباهه إلى ما ارتكبه في حق نفسه وحق نبضه. عندما يوشك أن يتهاوى، تعانده الريح بأن تلقي على أذنه كل أنواع الأسئلة وتحمل له أصداء أغنية قديمة كاد ينساها. يفكر في التوقف للحظات، لكن خطواته لا تترك مجالا لأي توقف. وبمجرّد أن تدرك الريح وقع الخطوات اللاهثة، تندفع إليه كعاشقة لم تره منذ سنين. يحتويه دفؤها وطزاجتها ونقاؤها، فيدع نفسه لها كأنه في حاجة إلى من يستطيع أن يُوْقِفَ خطواتِه. وما أن تطمئن الريح إلى سكونه إليها حتى تفتح أبواب المعتقلات، فيبدأ لسانه في الحبو كمن يتعلم الحركة والمرونة لأول مرة. فتبتسم له الريح وتطلق كلماته لتلتحم بما يتناثر على تخوم حياته. وعندما تنطلق كلماته في الأفق، يبدأ لسانه في ملاعبة الريح وينطلق معبرا رغما عنه.

إرسال ضعيف

لا يريد ذلك الصديق اللعين أن يجيء إليك. وربما كان يتهرب من أن تصطاده لتقرأ عليه ما كتبتَ. يفضل الجلوس على مقهى أرابيسك. وبرغم عشقك القديم للمواجهة، إلا أنك لا تود قراءتها على مقهى، آذان الكراسي. لا تبصر فرقا بين العقود. تقرر – عندما تجمّع جنيهاتك – أن تطبع مجموعتك على نفقتك الخاصة. تطاردك في كوابيسك مجموعاتُك ودواوينُك المدفونةُ في أدراج الهيئات وعمّال المطابع الذين يتظاهرون.... قبل أن تخرج إليهم تتصل بحسن الذي تريد أن تغلبه ولو لمرة واحدة في لعبة الدومينو فتجد تليفونه مشغولا. تخبر زوجتك أن تقول له إنكم موجودون على أرابيسك في الدور الثاني إن اتّصل.

تتذكر الكمبيوتر الذي هزمته. تجلس كل يوم أمامه لساعة أو ساعتين. تقلّب أوجه احتمال الأوراق، كيف تلضمها ببعضها البعض، كيف تتحايل عليه بتنشيط ذاكرتك بما ليس لديه من أوراق، كيف تتعمد أن تضع الورقة التي ليست بيديه فيسحب كل الأوراق وتظل تتلاعب به إلى أن ينفد ورقُكَ وتفوز.... يلفت حسن انتباهك إلى أن الدور جاء عليك وعليك أن تختار ورقة الدومينو المناسبة. ترفع رأسك. تتفرس في الوجوه علّك تستنبط منها علامة أو إشارة من تلك التي يرسمها هو وسيف لبعضهما حتى يتهربا من دفع الحساب. تخونك علاماتك. تجد وجوههم محايدة. وعندما تتبين في وجوههم خسارة تتوعدك، تنقل عينيك إلى أوراق الدومينو. "تنشرها" بين يديك دون أن يراها أحد وتفكر...

أسمى

يندفع. يتوغل عوالم مجهولة حُرِّمَت عليه طيلة حياته. يتعمق في سراديب. تنشيه أنفاس. تلفه روائح. تتعمقه أحاسيس. يحس بأنه يريد أن ينطلق. تتهدج أنفاس. حركات تنساب. آهات تنطلق. أنوار تشع بالداخل. تضيء عوالم. تتكشف أسرار. تتشكل فرحة اكتشاف الحقيقة. يرشفها: "لذيذة"، ينهل منها، "طعوم أخرى". يصطادها وتصطاده. يتوغل. يكتشف حقيقة أسمى: روحانية صافية، لا تشوبها الأملاح، لا تصل إليها الأدخنة، ولا مياه المجاري المتسربة من الشارع بالخارج. أحس بأنه يتوحد في مطلق: عوالم لا حدود لها ولا جوازات سفر، انسياب، انطلاق، تدفُّق. أحسَّ بأنه مطلق وأن المطلق داخله، يتوحدان سويا، يتساميان، يرتفعان عن العالم المحدود.

النظرة بالنظرة

لاحظ حركة الحمام فوق البرج بانتشاء، لكنه لم يلاحظ أزواج الحمام الصغيرة التي تُسَاقُ للذبح مقابل المأوى والغذاء. فأخذ ينظم قصيدة عرجاء عن الحرية والحياة والانطلاق. وعندما جاء ابنه يطلب منه جنيها ليشتري به حلوى كأبناء عمه، تلاشى الانتشاءُ وأفسح المكانَ لغضبٍ متوتِّرٍ. وربما لم أنتبه لنظرة الانكسار في عينيه.

دمع محتبس

عندما سحب كرسيا وجلس أمامي، أخذ يحدِّق في عينيّ. راوغـــتُ نظرته ولم تفصح عيناي عن شيء. لكنه عندما ذكّرني بقصيدة لي كنـــا ننشدها سويا من قبل، انهارت مقاومتي وانطلق الدمع المحتبس في عينيّ.

الإيهام

أخذتْ ترمي بنفسها في أحضان الظلمة وأنفاسها المتهدِّجة. لكن تَهدُّجَها لم يتوقف و لم تزِدْها الظلمةُ إلا عتمةً. مدَّتْ يدها في الظلام لتقيمَ أسوارا على سريرها وتطردَ أشباحا تطاردها. حاولتْ أن تتخيَّلَ ألفَ سببٍ للبهجة. وعندما لم يراودْ سببٌ واحدٌ مُخَيِّلَتَها، واكتشفت أن "العماء المطلق" لا يَخْلُقُ من خيوط تخيُّلِها شيئا. عمدتْ إلى الإيهام كي لا تنكسر. فأضاءت نورَ المصباح بجانب السرير وأخذت تكتب إلى أن واتتها اليقظة.

انتشاءٌ بالمقاومة

أخذ يكتبُ على لوحةِ المفاتيحِ التي تعانده أو أنّ الخَدَرَ الذي كـــان يدبُّ في يديه أبطأ طريقَ أناملِه إلى الأحرف. كانت تنشيه حركتُه البطيئةُ ومقاومةُ لوحةِ المفاتيحِ له. بيد أنه عندما لم يَثْبُتْ كوبُ الشاي في يديـــه وانسكبَ على اللوحةِ، أبعد يده بسرعةٍ ظنَّ أنّها غابتْ عنه. فحفظَ ملفّه على عَجَلٍ وتركَ نفسَه لنومٍ لم تستطعْ رشفاتُ الشاي أن تَكْبِتَ رغبتَـــه فيه.

لضم الأسماء

فتافيت صورة تبدأ في التشكّل بقلق. تلملم شتات الصور من كل الألبومات. تعيد تشكيلها علّها ترسم صورا قابلة للتشكل في لوحات. تنقش رسما على صفحة النهر. تجمّع خيوط حكايات قديمة وأساليب كادت تنساها. تكتب كلمات على الطين. تفرح بحركة الحروف وسط النداوة والطراوة والخط الذي يتسلق لحن خطاه في ثقة وشكٌ. تبتسم لها وجوه من طمي تبذرُ رزازَ الماء في مختلف العصور علّ البذورَ الخبيئة تخضرّ فتُبْرِد نارَ ألغامٍ رابضة في رمال بائرة. تتشكل في عينيها ملامح وجوه أخرى عندما ترى طائرة تحلّق في أفق تمدُّ يدها لتطوله، فتفرِخ ثمرة صخب بري وسط فراغ ممتد ورمال تسبقه بخطوة وعشرة أمتار من الجليد. تبتهل لأوان تهيؤ عندما يمتد الصخب وسط البراري. تنفجر أسئلة وطن في وجهها كأن الألغام عاندت الخضرة ورفضت أن تبرد نارها. وعندما لا تجد أحدا يهدي عقلها الحائر، لا تنتظر أحدا. تتحسس جسدها المتوازي في البلدان وتجمّع شتات أحبال صوتها حتى يغلب الرمال التي تكاد تخنقه، فتكتشف مرآة بدأت تطل عليها من وجه القصيدة.

مدارات السرد في (اشتعال الأسئلة الخضراء)

د. بهاء الدين محمد مزيد

تشتمل بمجموعة جمال الجزيري – الأكاديمي والشاعر والقاصّ والناقد والمترجم – عتبة أولي تنبئ عن تجاوزات دلالية مقصودة ولافتة وعن جرأة على اللغة التقليدية وعن تداخل طبقات السرد بين الواقعي والمجازي بدرجاته في عنوانها "اشتعال الأسئلة الخضراء". ليست هذه مجرد استعارة، بل حزمة من الصور فيها التعارض البديع بين الخضرة والاشتعال وتجسيد الأسئلة إلى محسوس قابل للاشتعال – وهذا شأن الأسئلة جميعاً – ومن قبل ذلك تجسيدها في نباتات تنمو لتثمر ناراً لا ثماراً. لماذا تشتعل الأسئلة؟ لا بد أنّ في المجموعة ما يجيب عن هذا السؤال، لكن نستطيع أن نتوقّع أنها تشتعل لأنها شبّت عن الطوق وتخلّت عن براءتها و لم تعد ترضي بالصمت أو الإجابات الجاهزة.

تقع قصّة (اشتعال الأسئلة) - التي تحمل عنوان المجموعة وقد غابت عنه مفردة "الخضراء"، لأنّ الأسئلة في القصّة لم تعد خضراء فهي تشتعل بالفعل – بين الفانتازيا التي تحترق فيها الأسئلة وتحرق – "بشرط ألا يحرقني سؤالك"، و"سؤال لسع يدي"، و"أغلقه قبل أن ينفجر سؤال في أذنيك" - والواقع الذي تفشل فيه القصّة في الفوز بأية جائزة في المسابقة الأدبيّة، ربّما لأنّ أسئلتها أقلقت القائمين على المسابقة. تلك سمة جديرة بالانتباه يتجاور فيها الفانتازي الساحر مع الواقعي وتلفتنا إلى أنّ قصص المجموعة ليست قصيرة على معنى ما تشغله من حيز على الورق، بل هي قصيرة لما فيها من تكثيف وتعدد مستويات الدلالة وتداخل طبقات السرد.

وفي عناوين الأجزاء الثمانية التي تضمّها المجموعة - "شُرْبٌ حتى الوجع" و"لجنة الأوصياء" و"على طريق الثراء" و"غيوم حبلى بالأقلام" و"أن ترمي نفسك بحجر" و"على هامش الحميمية" و"على هامش التوحُّش" و"مظلة ذات ثقب أسود" – انزياحات دلالية لافتة من قبيل "شرب حتّى الوجع" و"غيوم حبلى بالأقلام" يتحقّق من خلالها المزج بين فضائين دلاليين فتتولّد فضاءات دلالية جديدة:

١. شُرْب حتى الارتواء/ الثمالة (فضاء دلالي أ)

٢. ضَرْب حتّى الوجع (فضاء دلالي ب)

٣. شرب حتّى الوجع (فضاء دلالي جديد ج)

٤. ضرب حتّى الارتواء (فضاء دلالي جديد د)

لا يرد الفضاء الدلالي الجديد (د) في العنوان لكنّه يصبح بفضل التجاوز الدلالي والتهجين أو الاستعارة (ج) ممكناً – فطالما كان هناك "شرب موجع" فمن الممكن أن يكون هناك كذلك "وجع يروي". نفس هذه الطريقة في تحليل التهجين بين الفضاءات الدلالية يمكن تطبيقها في قراءة سائر الاستعارات.

ماذا تفعل الاستعارة في المثل السابق؟ لعلّها وهي تمزج فضائين دلاليين أحدهما إيجابي هو "الشرب" نقيض العطش والثاني سلبي وهو "الوجع" تشي ببعض مدارات السرد في القصص التي تضمّها المجموعة إجمالاً وقصص هذا الجزء خصوصاً ومنها ذلك الواقع الملتبس الذي يحفل بالتناقض والمفارقة فلا الوجع كلّه وجع ولا الشرب دائماً فيه ارتواء.

هذا ما نجد في قصة (حنان الأمّ) التي يعد عنوانها بفضاء دلالي من الرحمة والحب الذي يليق بأمّ، غير أنّ الإشارات في القصّة تحيل إلى فضاء دلالي أوسع من علاقة أمٍّ بابنها، فدمعه حبيس "كأنّه معتقَلٌ لا توجد ورقة واحدة في أروقة

المحاكم تثبت تهمتَه" وحين تبدي الأم حنانها تضع "بعض الغراء على صدرها" وتحضنه وتحاصره "كعساكر الأمن المركزي" حتّى إذا يئست من رغبته في البوح بما في نفسه "شرعت في ضربه حتى يفرَّ الدمعُ من عينيه ويخرج صوته مجلجلا".. لا يخطئ القارئ تلك الإشارات – "عساكر الأمن المركزي" و"معتقل" و"وكالات الأنباء" – التي تحيل إلى سياق خارجي محدّد، وتلتقط مفارقة غريبة بين القهر والحب، مفارقة الحب بالإكراه والتحرير بالقتل.

في مواضع أخرى تعاود مفردة "الأم" اتساعها الدلالي ليتشكّل مستو آخر تصبح فيه الأمّ هي الوطن والوطن هو الأمّ، كما نجد في (شربت من ليلها). لكنّها ليست ككلّ الأمّهات. لا مفرّ من الرحيل: "انصرفتُ عنها غاضبا كي لا أفتك بها أو أصير بلا ظلٍ ولا أرض"، "فوضعتُ يدي على بطني وأسندتُ على رأسي وتوكّلتُ على الله". هذا الولع بالمجاز من السمات اللافتة في المجموعة، ومن ثماره التكثيف والاختزال وانفتاح السرد على مستويين – على الأقل – من الدلالة.

من الواضح أنّ السارد في مجمل قصص المجموعة غير مشارك في الأحداث والضمير السائد هو ضمير الغائب، لكنّه ليس غائباً واحداً، بل جملة غائبين في سياقات متباينة ما بين تهميش واغتراب. لا بدّ من الاستدراك هنا لأنّ في المجموعة قصص يرويها سارد مشارك في الأحداث بلسان الأنا كما في قصّة (حصانك) وفيها السرد باستخدام ضمير المخاطب – في قصّة (إرسال ضعيف). هذا التنقّل بين زوايا السرد يتيح للكاتب فرصة النجاة من مخاطر الخلط بين المؤلّف والسارد أو المتكلّم في النصّ وهي عادة مستقرّة في الثقافة العربيّة والإفادة في نفس الوقت مما يتيحه ضمير المتكلّم من حميمية ومن الفرص

التي يتيحها ضميرالمخاطب لإقامة المواجهة بين السارد/ المؤلّف والشخصية المحورية في السرد.

كلُّ ما حول المقهورين المهمّشين يناصبهم العداء: "يبدو كشبحٍ شريدٍ شديد الألفة لا يخيف أحدا، بل يقبع مسكينا كسيرا كأنه يخشى أن يكنسه عامل النظافة مع القمامة ليلقي به في برميل سيغرقه بعد دقائق في المستنقعات ويوزع أنفلونزا الخنازير على الجميع بالتساوي"، "تنهره الأتوبيسات، لكنه يظلّ عالقا على بابها، كأنه يطوف أو كأنها تشهّر به في الشوارع. وعندما يوشك الأتوبيس أن يقع به من فوق الكوبري يلقي بنفسه، لكنه لا يقع في عرض الشارع كي تدهسه السيارات، بل يظلّ معلّقًا على سور الكوبري كأنه الرياح أو كأنه مَرْكَبٌ في انتظار الانفتاح. لكنه يظلّ واقفا وعليه أن يسير ويحاذر كي لا تطارده الأتوبيسات فتغرقه في النهر، كي لا تطارده السيارات فتدهسه على الرصيف"، "رجل كأنه الهوان"، "قروشا لا تميته جوعا" (صباح شريد). تتحوّل الأشياء إلى كائنات فاعلة بينما يتحوّل ذلك الشبح الشريد إلى مجرّد شئ تطارده الحافلات وعمّال النظافة والسيارات والنهر. أمّا قروشه القليلة فلا تقوي لقلّتها أن تميته جوعاً.

ويظل السرد يحفل بالتشبيه والاستعارة وتتردّد أداة التشبيه "كأنّ" في القصص لتحقّق بطريقتها الخاصّة نفس المزج الذي تحقّقه الاستعارة بين فضائيين دلاليين: "قهوة كأنها المرارة تصطفُّ على حدود العسل في عيد ميلادي" (تشبيه) و"قِطَعَ الفراولة على أطباق التورتة دماءً ترعبني" (استعارة) من خلال هذا المزج يتحوّل عيد الميلاد وقد فقد الطفل براءته إلى مأتم – "موسيقى جنائزية" و"أحيي ذكرى الطفل الضالّ"(طفل ضالّ).

لا تكاد قصص المجموعة تغادر الانشغال باللغة وبالكتابة، مع انشغالها بالواقع والعالم: "أدركتُ مدى صدق ضمير الغائب في 'أشْرِبُهُمْ' أو لعلها كانت تقصد 'أشْرَبَهُمْ' وأنا الذي انخدعت بكلامها أو عدم استقامة الحروف على لسانها" (ضمير الغائب). ومن ذلك أنّ الكاتب يعيد اكتشاف تعابير دارجة ومقولات شائعة في (وجوه العملة) و (براقش) وفي .(حصانك) ومنها: "ساعتها أدركت كيف أن لساني قد يخونني لحظة أن أعتقد أنه في كامل صدقه وكيف أنني قد أُحْدِثُ جروحا لا أحس بها".

غير أنّ الانشغال بالكتابة يبلغ مداه في جزء (غيوم حبلى بالأقلام)، وقد وردت إشارة عابرة إلى ما في هذا العنوان من استعارة مركّبة:

١. غيوم محمّلة (فضاء دلالي أول)
٢. امرأة حبلى (فضاء دلالي ثان)
٣. غيوم حبلى (فضاء دلالي ثالث يندمج فيها الفضاءان الأول والثاني فتنشأ الاستعارة)

ثم إنّ الغيوم ليست حبلى بالمطر، بل بالأقلام، أدوات الكتابة والتعبير التي تتجاوز حقيقتها الماديّة لتشير إلى ما يرتبط بالكتابة من استعارات وإلى مختلف تمثيلاتها الاستعاريّة. الكتابة اقتحام وتوغّل وفعل اصطياد متبادل بين الكاتب والنّصّ: "يندفع. يتوغل عوالم مجهولة حُرِّمَت عليه طيلة حياته. يتعمق في سراديب. تنشيه أنفاس. تلفه روائح. تعمقه أحاسيس. يحس بأنه يريد أن ينطلق. تتهدج أنفاس. حركات تنساب. آهات تنطلق. أنوار تشع بالداخل. تضيء عوالم. تتكشف أسرار. تتشكل فرحة اكتشاف الحقيقة. يرشفها: 'لذيذة'، ينهل منها، 'طعوم أخرى'. يصطادها وتصطاده" (أسمى).

تتعدّد استعارات الكتابة ومبرّراتها بوصفها حلما وألما وجنوناً وعشقاً ومكابدة غرق وإبحار وافتضاضاً وانتهاكاً واصطياداً في قصص (لضم الأسماء) و(الإيهام) و(النظرة بالنظرة) و(سطوة السياق) و(من على السلم) و(رهن لا ينفكّ) و(مقاطعة) و(سونكي صاحب المعدية). وهي عاصفة حبلى بالوعود في (سلام العاشقين).

"وكأنه يحاول أن يثبت فحولته وقدرته على دغدغة الكلمات، أخذ يكتب ويكتب. لكن الحروف خرجت باهتة. أنهكته الكتابة، فوقع من على الكرسي مغشياً على حركته. وعندما زفرت الحروفُ ونظرتْ إليه بعتابٍ، أدار لها ظهره وبكى" (همسة عتاب).

"انغمس في الكتابة أو هي التي انغمست فيه. كل ما أدركه أنها كانت مشتاقة إليه وهاهي الآن تلقاه لقاء العاشقين، ذاب في دفئها وذابت في حنانه، ولم يفق إلا على صوت السائق: يا أستاذ نريد أن نكمل السفر. وكأنها أنثى خجلي، انصرفت وانحسرت عن وعيه، فنهض ضَجِرًا وركب في السيارة" (مقاطعة).

في مثل هذه المواضع يبلغ السرد ذروة شاعريته. وفي مثل هذه المواضع تتجلّى مكابدات الكتابة والإبداع وتمثلاتها الحداثية التي يعرفها المؤلف جيدا بحكم انشغاله بها ناقدا ومترجما.

أمّا القصص في (لجنة الأوصياء) فتدور في فلك المحنة. ومن المحنة يكون الامتحان وفي كل امتحان لا بدّ من ممتحِن وممتحَن. علاقة القوة والهيمنة من ناحية الأستاذ والمقت والرغبة في الانتقام من ناحية الطالب ليست غريبة على الثقافة العربية. تتخذ العيون الزجاجية في اللجنة – لجنة الامتحان – أشكالاً

استعارية أخرى في (الحصاد حصاده). وفي (رحل عند خط الاستواء) صـــورة منهم وأعضاؤها كائنات ميّتة في (لم تكن سواك). وفي (فشل بطعم النجـــاح) مشاعر الطالب الانتقامية حين يلتقي استاذه في الشارع ولا يخفُّ إلى نجدته.

لا تقتصر انشغالات المجموعة بما سبق من مدارات فهي تغطي مساحة زمنية تتجاوز خمسة عشر عاماً وتتنقل بين مكابدات الكتابة وتمثلاتها ولحظات الفرح الطفولي ولحظات الدفء الأسري والبيوت المغلقة على مخاوفها. تتقاطع مع غيرها من نصوص، وتسافر من جهينة في سوهاج إلى ميدان الجيزة في القاهرة إلى المملكة العربية السعودية — حيث "الهيئة" وصراع الثقافات وميراث التوحّش والخوف. في القصص التي تندرج تحت (مظلة ذات ثقب أسود) قلب منفتح على العالم يصدمه النفور في (مشاعر بالية) ومجاز أبناء العمومة في (لسان الحجارة).

وتستعرض القصص لحظات الاغتراب ومكابدات الفنّان في وطن يلفـــظ أبناءه ويحلم بملك جديد لعلّه يصلح بعض ما فسد ويتمرّد على سائق قطـــاره: "توقف القطار فجأة. فُتحَت الأبوابُ على مـــصاريعها. انفتحـــت الأبـــوابُ الموصلة بين العربات. كَبّر الركّابُ خارجين. هالتهم الكثبانُ. أول ما فكروا في فعله هو الهتاف بموت السائق" (هبوط بالجملة). وفي القصص علاقة حميمة مع الوجود والموجودات والكائنات والتقاط لحظات ملهمة كتلك التي نعاينـــها في (مطر وجبروت).

هذه مجموعة لا ريب تستحق أكثر من مجرّد القراءة.

استراتيجية العنونة في اشتعال الأسئلة الخضراء

مدحت صفوت محفوظ

العنوان نص كتابي، قديم في الذاكرة الأدبية والفنية والإنسانية، عرفه الإنسان منذ أن عرف الكتابة النثرية والسردية. فبدا في أول الأمر مسمى الشيء، وصفته اللازمة، وبطاقة تعريفية من حروف لنص ما، أو بعبارة أدق لنص طويل وشارح للعنوان. ومع تطور الإنسانية وتطور الأدوات والآليات الفنية تعقدت وظيفة العنوان واستراتيجيته النصية.

يتميز العنوان، حد قول جاك دريدا، "بالامتياز الاستراتيجي" كونه العتبة الأولى والأعلى، والنص سلسلة من العتبات المتتالية والسفلية. إلا أننا نرى أن الامتياز "الممنوح للعنوان" ليس امتيازًا معياريًا، يمكن من خلاله تقييم وتحديد الأفضل والأسوأ، فالعنوان يمكن أن يكون دالًا لكن ليس من الضروري أن يكون مركزيًا أوقلب العمل الأدبي ومحوره.

وفي مجموعة "اشتعال الأسئلة الخضراء" للقاص والمترجم جمال الجزيري، تتخذ العنونة في كتاباته مراكز استراتيجة، تؤدي من خلالها عدة وظائف؛ منها الجمالي، الذرائعي، والاتصالي. وسنحاول من خلال هذه القراءة البحثَ في هذه الاسترتيجية من خلال أربعة محاور، هي: الاسمية، التناصية، الشعرية، وأخيرًا الرومانتيكية.

يصيغ الكاتب عنوان مجموعته من عنواني قصتين من قصص المجموعة، القصة الأولى "اشتعال الأسئلة" التي تبدو أقرب إلى حواريات مسرح العبث؛ حيث فقدان القدرة على التواصل؛ فاللاتواصل هو السمة الأبرز والعنوان الأوضح في حياتنا، والحوار غير المجدي يحتل قلب العملية الإبداعية، بعدما

أصبح جزءًا أصيلًا من الحياة الإنسانية الفاقدة لمعانيها، والمختلة قواعدها، والمنقلب منطقها. وبما أنه لا سبيل للحوار/ الالتقاء فانقطاع سبل الاتصال هو الحل الوحيد الممكن، علّ الواحد فينا يجد من يحاوره حتى إن كان ذاته.

إذن لابد من التساؤل/ الشك كخطوة أولى في طريق اليقين، لكن التساؤل ليس غاية في ذاته، فالذات الساردة تشترط أن تكون الأسئلة المشتعلة خضراء، بما يحمله اللون الأخضر من دلالات الزراعة، الاستقرار، الخير، النماء، واستمرار الحياة. ما يعني أن كل تساؤل لايفيد علمًا لا يعول عليه. ولم تكن فقط الأسئلة المخضبة باللون الأخضر، فالأغنيات أيضًا خضراء، وهي القصة الثانية التي يشتق منها السارد عنوان مجموعته. ويأتي الغناء أخضر بخاصة إذا كان غناء ذات متفاءلة تحلم بغد مليء بثمار الزرع، وتلقي السلام على كل من تراه... هل يمكن أن نقول "الجائع يحلم بالخبز؟"

الفارق بين الجملتين الاسمية والفعلية أن الأخيرة تدل على الدوام في التغيير والتقلب من شكل إلى آخر، وتتضمن دلالات عدم الاكتمال باعتبار الفعل عملا يجنح ناحية الكمال الذي لا يتحقق؛ فضلا عن إشارة الجملة الفعلية إلى الديناميكية والفاعلية. بينما تشير الجملة الاسمية على الثبات والإطلاق والسرمدية. وعلى المستوى التركيبي، نجد أن العناوين داخل المجموعة قد ارتكزت في غالبيتها على الصيغة الاسمية، ولم ترد الصيغة الفعلية سوى في عناوين "شربتُ من ليلها، لم تكن سواك"، ويمكن أن ندخل عنواني "هذه أسئلتي أتوكأ عليها، بحر يفك شفرهما" على الرغم من اسمية الجملتين إلا أنهما تضمنا فعلين مضارعين.

وانتمت العناوين ذات الصيغة الفعلية إلى فواعل بشرية، عدا البحر يفك شفرهما، وتنوعت الذوات البشرية من ذات مخاطِبة إلى ذات مخاطَبة، أما

الفاعل البحر فربما كان الذات الساردة نفسها في صورتها القصصية، التي تمارس عملية فك الشفرات الأنثوية والإنسانية، وربما اختارت صورة البحر تحديدًا كون البحر ـ رؤيويا وليس فيزيقيا ـ مطلقًا، وهو ما يتناسب مع سيطرة الصيغ الاسمية.

يؤكد رولان بارت أن التناصية قدر كل نص مهما كان جنسه، وبالطبع يبدو التناص أشمل مما يختزله المعنى الضيق للتقليد، إذ يمنح التناص النص معناه بوضعه ضمن سياق نصي كما تمنحنا النصوص السابقة طرائق التعامل مع النص الجديد. وتؤكد جوليا كريستيفا أنه في فضاء أي نص معين تتقاطع وتتنافى ملفوظات عديدة مقتطعة من نصوص أخرى. وتمثل النصوص المتناص معها روافد فنية وثقافية للنصوص المتناصة، والبحث في طبيعية هذه الروافد بحث في طبيعة النصوص ذاتها، والعناوين كنصوص نوعية تتمايز بإمكانية التفاعل مع غيرها من النصوص.

وفي عملية التداخل والتفاعل النصي مع نصوص العناوين تنوعت الآليات والتقنيات، إذ اعتمد السارد على آلية التشويش ـ مثلا ـ في عنوان "حتى أنت يا فول"، والتشويش هو التدخل في نص ثابت ومكرس ومعروف بالتلاعب الساخر أو الفنتازي، فجملة "حتى أنت يا بروتس" هي الجملة الشهيرة التي قالها يوليوس سيزر إلى ربيبه بروتس أثناء اغتيال الأول، وغدت من خلال "يوليوس سيزر" لوليام شكسبير جملة دالة، يقوم السارد بتحويل الدلالة الجادة إلى دلالة ساخرة، ليتفقا بروتس والفول في دلالة الخيبة التي يحققها كلاهما لصاحبه، فكما خيب بروتس أمل يوليوس سيزر خاب أملُ الفلاح في محصول الفول.

وفي عنوان "هذه أسئلتي أتوكأ عليها" يلجأ السارد إلى تقنية "تغيير مستوى المعنى" التي تعني نقل المعنى إلى صعيد آخر، وتحويل الحرفي إلى مجازي أو

العكس. فتحل الأسئلة "المجازية" محل العصا "الحرفية" ما يؤكد هشاشة المسند عليه من ناحية، واستمرار معاناة الذات الساردة وتساؤلاتها من ناحية أخرى.

وكما تشير نملة فيصل إلى أن العنوان لا يمتلك سياقا، وهذا يؤهله لأن يتعالق مع أي تركيب وفي أي فضاء. فهو يمتلك فضاءً أكثر اتساعًا من فضاءات العمل وأشد منها إزدحامًا، فيلعب الفقر الدلالي والتركيز له على ظاهرة غياب السابق تلك، والسياق واحد من ضوابط حركية الدلائل واشتغالها. نظرًا لذلك، ومن خلال التكثيف القائم على الاختزال اللغوي تنشأ علاقة بارانصية، بين النص المتن والنص النوعي/ العنوان، وعندها يبدو النص تفسيرا للعنوان لا العكس، وهو ما تحقق في العديد من النصوص.

يتمايز الشعر بالتشكيل الجمالي، المجازي، التصويري، في حين يتحدد السرد بكونه النمذجة اللغوية الدرامية للواقع. ويتكأ الشعر على اللغة المجازية التي تقوم بتثبيت طرفي الجملة، ما يعني تثبيت الطرفين: الواقع- المتخيل. بينما تلغي لغة السرد المسافة بين الواقع والمتخيل، لتدمجهما معًا بطريقة متماهية يصعب بعدها الفصل بين الطرفين.

وفي استراتيجية عنونة "اشتعال الأسئلة" تتكأ الذات السارد على اللغة المجازية في كثير من العناوين، مثلما استدعتها في مواضعات متعددة من مناطق السرد، وتتضح لغة المجاز بشكل جليّ في عناوين: زحف الأشجار، شربت من ليلها، هذه أسئلتي أتوكأ عليها، غيوم حبلى بالأقلام، بحر يفك شفرتها، ولسان الحجارة.

يرى البعض أن العنوان عمل غير شعري بالأساس، وعلاقته بالسرد قائمة على الوصل والقواعد المنطقية، وهي على خلاف بالشعر، في مراحله التاريخية والفنية الأولى، إذ يمكن للشعر أن يستغني عن العنوان طالما استند إلى الانسجام. ويغالي بعض النقاد _حد التطرف_ في أن تسمية الموضوع الشعري

تحطم ثلاثة أرباع الاستمتاع بالقصيدة. إلا أننا نرى أن العنوان كنص له دور سواء في السرد أو في الشعر. ورغم الاعتماد على التقنيات البلاغية واللغة المجازية يظل العنوان منطويًا على سماته الكلية، الإيجاز، الغموض، والمجهولية. في مواجهة السمات النصية: الجزئية، التوسع، الوضوح، والمعلوماتية.

نلاحظ من خلال قراءتنا للنصوص، تسللَ الشعرية من العناوين إلى لغة السرد ذاتها؛ ففي "زحف الأشجار" يتساءل "هل ترى تلك الأشجار التي تسير نحونا؟" في استعارة واضحة لأسطورة زرقاء اليمامة، مع التأكيد على أن السياق بين الأسطورة والقصة متباين، ومن ثم اختلفت الدلالة. وفي نص "هذه أسئلتي" حملت الذات أسئلتها على ظهرها وخرجت، طبعًا، حدث ذلك بعدما "طفحت علامات الاستفهام من عينيه". وهي الأسئلة نفسها التي تتكاثر وتفرخ أسئلة بكرًا. وهي بذاتها التي يضعها في حقيبته "لتدفئ تاريخه". وفي "شربت من ليلها" يضه يده على بطنه وأسئلته على رأسه، ويتوكل على الله. وحين يفك البحر شفرة الأنوثة تستبدل الذات بالأسئلة بيض سمك، تستبقيه أنثته عله "يلتصق برحمها، ويفرخ في عينيها يودًا وأسماكًا ودفئًا".

هنا، نكتشف علاقة شعرية ممتدة من العنوان إلى النص، كما أننا نجد علاقة تساؤل ممتدة عبر قصص المجموعة، والملاحظ أن كل قصة تشمل على جزء من البنية الدلالية الكلية للمجموعة؛ إلا أنها تتشكل عبر لغة تتنمذج في مستوى وتتشكل شعريًا في مستوى آخر.

جاءت الرومانتيكية لتفرط في الإيمان بالذات، وتعلي من شأن الفردية، بعدما أصبح الفرد ركيزة الحياة الاجتماعية؛ إذ يساهم في تشكيل المجتمع بإرادته الواعية، فبدأت الفردية في التبلور منذ عصور انبثاق تصورات

الإنسانية للعالم عند هايدجر، حيث أصبح الإنسان يدرك ذاته بشكل مستقل، وأصبحت الذات الإنسانية السمة الأساسية في الوجود.

وأدت الرؤية الرومانتيكية المتخللة لعناوين القصص إلى حضور مفردات من قبيل "مشاعرَ بالية، مساءلات، عصفور، حزن العاصفة، هاتف، رؤيا الألوان، حرمة الألوان، دمع محتبس، همسة عتاب، أسطورة، سلام للعاشقين، وشوشة النخيل، فشل بطعم النجاح، تنهيدة، هاوية الانتحار، وصباح شريد".

على الرغم من أهمية الفرد في المجتمع الحديث، إلا أن الرومانتكية كشفت عن جانب مهم خاص بالفرد، وهو مواجهته للجماعة الكلاسيكية وتماسكها الشكلي، تلك المواجهة التي ستجعل من الذات في "صباح شريد" "رجلا وحيدًا" ورغم مواجهة الذات مواجهة ناعمة ورمزية، إلا انه استحال بعد ذلك "كأنه الهوان"، وهو "رجل تنهره الأتوبيسات، لكنه يظل عالقًا على بابها"، وتكتمل المعاناة الفردية ببقاء الذات وحيدة دون أي اهتمام من قبل "الجماعة" و"دون أن يلقي أحد (عليه) تحية صباح جديد".

تبدو المجموعة بعد قراءتها نصًا طويلًا يحوي عددًا من النصوص "القصيرة" ومن ثم لا يمكن أن نقول إن عنوان "شرب حتى الوجع" عنوان رئيس وَبقية العناوين احتياطية أو داعمة، وإنما يمكن أن تقرأ النصوص وعناوينها وفق مثال الشجرة السامقة وفروعها وأوراقها "شرب حتى الوجع" كنص كلي "شجرة" وفروعها وأوراقها النصوص العشرون. وهكذا دواليك، تتشكل المجموعة كغابة ممتلئة عن آخرها بالأشجار الكثيفة.

عن الشاعر

ولد جمال محمد عبد الرؤوف محمد الجزيري في ٢ أغسطس ١٩٧٣ في جهينة، بسوهاج، مصر. تخرج في قسم اللغة الإنجليزية بكلية الآداب بسوهاج ١٩٩٥. حصل على الماجستير من قسم اللغة الإنجليزية بآداب القاهرة ١٩٩٨عن رسالة بعنوان "تحولات المنظور في شعر روى فولر١٩٣٦ ـ ١٩٦١"، ثم على الدكتوراه من قسم اللغة الإنجليزية بآداب عين شمس عام ٢٠٠٢ عن رسالة بعنوان "جوانب السرد في شعر روجر ماكجوف ١٩٦٧ ـ ١٩٨٧". يعمل منذ عام ١٩٩٩ بقسم اللغة الإنجليزية بكلية التربية بالسويس ومنذ ٢٠٠٥ بقسم اللغة الإنجليزية بكلية المعلمين (الآداب حاليا) بجامعة طيبة بالمدينة المنورة.

elgezeery@yahoo.com،elgezeery@gmail.com

جوائز

* المركز الأول في القصة القصيرة من جامعة جنوب الوادي (جامعة سوهاج حاليا) ١٩٩٥
* المركز الثالث في القصة القصيرة، المسابقة المركزية لهيئة قصور الثقافة ١٩٩٦ ـ ١٩٩٧ عن مجموعة بعنوان أساطير.
* المركز الثالث في النقد الأدبي، المسابقة المركزية لهيئة قصور الثقافة ١٩٩٩ ـ ٢٠٠٠ ، عن دراسة بعنوان الرؤية الحضارية للإبداع عند شكري عياد.
* جائزة ناجي نعمان الأدبية لعام ٢٠٠٩ (جوائز الإبداع) عن ديوان شعر بعنوان وطن بطعم الأسئلة.
* جائزة الدكتور عبد الغفار مكتوي من اتحاد كتاب مصر عن مجموعة غلق المعابر ٢٠١٠
* وسام التميُّز من الدرجة الأولى في القصة القصيرة في العالم العربي لعام ٢٠١٠ عن المجلس العالمي للصحافة عن قصة بعنوان "الرئيس الجديد".

إصدارات

(١) قصص قصيرة

١ - فتافيت الصورة. القاهرة: الهيئة العامة للثقافة [ثقافة القاهرة]، ٢٠٠١.
٢ - بدايات قلقة. الكتاب الأول. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٤.
٣ - نقوش على صفحة النهر. القاهرة: دار التلاقي للكتاب، ٢٠٠٩.
٤ - غلق المعابر. القاهرة: دار التلاقي للكتاب، ٢٠١٠.
٥ - رائحة مأتم. القاهرة: دار التلاقي للكتاب، ٢٠١٠.
٦ - اشتعال الأسئلة الخضراء القاهرة: دار التلاقي للكتاب، ٢٠١١
٧ ـ الطريق إلى الميدان: دار التلاقي للكتاب، ٢٠١١

(٢) شعر

١ - لا تنتظر أحدا يا سيد القصيد. القاهرة: دار التلاقي للكتاب، ٢٠٠٩.

٢ - حفل توقيع. القاهرة: دار التلاقي للكتاب، ٢٠١٠.
٣ - ونظل على الإشراق. القاهرة: دار التلاقي للكتاب، ٢٠١٠.
٤ - أصوات نهر قديم. القاهرة: دار التلاقي للكتاب، ٢٠١٠.
٥ - خارطة المطر. القاهرة: دار التلاقي للكتاب، ٢٠١٠.
٦ - أسفار سيدة النهر. القاهرة: دار التلاقي للكتاب، ٢٠١١.
٧ - بنت النهار. القاهرة: دار التلاقي للكتاب، ٢٠١١.
٨ - ميدان المرايا. القاهرة: دار التلاقي للكتاب، ٢٠١١.

<u>(٣) دراسات نقدية</u>

١ - الحوار مع النص: جماعة بدايات القرن نموذجاً . القاهرة: جماعة بديات القرن، ٢٠٠٢.
٢ - "أنسنة السرد: قراءة في سر الأسرار لمحمد حسن عبد الله ". محمد حسن عبد الله : دراسة وتكريم، تحرير د.مصطفي الضبع. جامعة القاهرة. كلية دار العلوم بالفيوم، ٢٠٠١. ص ٢١٠-٢٤١.
٣- "مشروعية دراسة عتبات النص: قراءة في روج أبيض لزاهر الغازياى". المؤتمر الأول لأدباء القاهرة، ٢٠ – ٢٢ فبراير ١٩٩٩, كتاب الأبحاث: الأدب والمستقبل. ص ١١٥-١٣٧.
٤ - " الشعر البديل: قراءة في أشعار من قنا". مؤتمر قنا الأدبي الثاني.١٦ – ١٨ يناير ٢٠٠٠، الخطاب الشفاهي والفعل الإبداعي بقنا. ص ٩٦-١٢٤.
٥- "مقدمة المراجع". دراسة عن الشاعر الأمريكي تشارلز سيميك. تشارلز سيميك. فندق الأرق. ترجمة أحمد شافعي. مراجعة وتصدير جمال الجزيري. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٤. سلسلة المشروع القومي للترجمة (٦٣٩). ص ٩-١٧.
٦- "تقديم المراجع: الشعراء الأفارقة الأمريكان والبحث عن صوت شعري". وجه أمريكا الأسود وجه أمريكا الجميل: مختارات من الشعر الأفروأمريكي. ترجمة أحمد شافعي. مراجعة جمال الجزيري. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٥. سلسلة المشروع القومي للترجمة (٨٢٣). ص ١٣-٤٧.
٧- "تقديم المراجع: رواية السيد: نصوص متقاطعة مفعمة بالرمزية". ثريا أنطونيوس. السيد: رواية. ترجمة جمال الجزيري ومحمود حسب النبي. مراجعة جمال الجزيري. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٦. سلسلة المشروع القومي للترجمة (١٠١٥). ص ٥-١٦.
٨- "شكري عياد وتطبيع النص الأرسطي في الثقافة العربية"، أخبار الأدب. الأحد ٧ مايو ٢٠٠٦. ص ٣١.
٩- "شكري عياد والحداثة" (مجلة جسور، العدد ١٩، السنة الثانية، سبتمبر أيلول ٢٠٠٦، باب الأدب والفن).
١٠- "البطل من الأسطورة إلى الأدب عند شكري عياد" (مجلة الرافد، عدد

١٠٩، سبتمبر ٢٠٠٦). ص ٦٣-٧٠

١١- "تداخل الأصوات وتفكيك الأيديولوجية في قصيدة "متى يأتي الجيش العربي؟" للشاعر السمّاح عبد الله". مجلة إبداع. العدد السادس عشر خريف ٢٠١٠.

١٢- عرض نقدي للمجلد الثامن من موسوعة كمبردج للنقد الأدبي ، نشر بمجلة إبداع، العددان السابع والثامن، ٢٠٠٨.

١٣- "عدسة الحياة المسرحية: رؤية العالم المسرحية في مونودراما " السيد تمام". نجاح عبد النور. السيد تمام. القاهرة، دار التلاقي للكتاب، ٢٠٠٩. ص ٣٧-٦٧.

١٤- الإبداع والحضارة عند شكري عياد. القاهرة: دار التلاقي، ٢٠١٠.

(٤) ترجمة

١- مقالة مترجمة بعنوان "العنوان: مكانه وزمانه، مرسله ومستقبله". تأليف جيرار جينيت. مجلة تواصل. الهيئة العامة لقصور الثقافة، فرع ثقافة القاهرة. عدد فبراير ١٩٩٩. (ص ٣٦-٤٥)

٢- مقالة مترجمة بعنوان "وظائف العنوان". تأليف جيرار جينيت. مجلة تواصل. الهيئة العامة لقصور الثقافة فرع ثقافة القاهرة.عدد يونيو ١٩٩٩.ص٣٩-٥٠

٣- أسطورة بروميثوس في الأدبين الإنجليزي والفرنسي. تأليف لويس عوض. الجزء الأول. ترجمة جمال الجزيري وبهاء جاهين وإيزابيل كمال. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠١. سلسلة المشروع القومي للترجمة (العدد ٣٠٠).

٤- أسطورة بروميثوس في الأدبين الإنجليزي والفرنسي. تأليف لويس عوض. الجزء الثاني. ترجمة محمد الجندي وجمال الجزيري. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠١. سلسلة المشروع القومي للترجمة. (العدد ٣٠١).

٥- أقدم لك..الذهن والمخ. تأليف أنجوس جيلاتي وأوسكار زاريت. ترجمة جمال الجزيري. مراجعة إمام عبد الفتاح إمام. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠١. سلسلة المشروع القومي للترجمة (العدد ٣٠٩).

٦- سحر مصر للرحالة الإنجليز. تأليف رشاد رشدي. ترجمة جمال الجزيري. مراجعة فاطمة موسى. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٢. سلسلة المشروع القومي للترجمة (العدد ٣٤٦).

٧- أقدم لك ... كافكا. تأليف ديفيد زين ميروتس وروبرت كرومب. ترجمة جمال الجزيري. مراجعة إمام عبد الفتاح إمام. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٣. سلسلة المشروع القومي للترجمة (العدد ٥٢٧).

٨- أقدم لك... تروتسكي والماركسية. تأليف طارق علي وفشلْ إيفانز. ترجمة جمال الجزيري. مراجعة إمام عبد الفتاح إمام. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٣. سلسلة المشروع القومي للترجمة (العدد ٥٢٨).

٩- أقدم لك ... فرويد. تأليف رتشارد ابيجنانس واوسكار زاريت. ترجمة جمال الجزيري. مراجعة إمام عبد الفتاح إمام. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٣. سلسلة المشروع القومي للترجمة (العدد ٥٧٣).
١٠ أقدم لك... بارت. تأليف فيليب توديوان كورس. ترجمة جمال الجزيري. مراجعة إمام عبد الفتاح إمام. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٣. سلسلة المشروع القومي للترجمة (العدد ٥٤٧).
١١- اليهودية أيديولوجية قاتلة: التاريخ اليهودي وسطوة ثلاث آلاف سنة. تأليف إسرائيل شاحاك. ترجمة جمال الجزيري. مراجعة وتقديم إمام عبد الفتاح إمام. القاهرة: الإعلامية للنشر، ٢٠٠٣.
١٢- أقدم لك... علم العلامات. تأليف بول كوبلي وليتسا جانز. ترجمة جمال الجزيري. مراجعة إمام عبد الفتاح إمام. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٥. سلسلة المشروع القومي للترجمة (العدد ٥٤٩).
١٣- أقدم لك ... الحركة النسوية. تأليف سوزان ألس واتكنز ومريزا رويدا ومارتا رودريجوز. ترجمة جمال الجزيري. مراجعة إمام عبد الفتاح إمام. مراجعة علمية شيرين أبو النجا. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٥. سلسلة المشروع القومي للترجمة (العدد ٤٤٩).
١٤- أقدم لك ... ما بعد الحركة النسوية. تأليف صوفيا فوكا وريبيكا رايت. ترجمة جمال الجزيري. مراجعة إمام عبد الفتاح إمام. مراجعة علمية شيرين أبو النجا. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٥. سلسلة المشروع القومي للترجمة (العدد ٤٥٠).
١٥- أقدم لك... القتل الجماعي (المحرقة). تأليف حانيم برشيت وستيوارت هوود وليتسا جانز. ترجمةجمال الجزيري. مراجعة إمام عبد الفتاح إمام. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٥. سلسلة المشروع القومي للترجمة (العدد ٦٩٣).
١٦- أقدم لك... التحليل النفسي. تأليف إيفان وارد وأوسكار زاريت. ترجمة جمال الجزيري. مراجعة إمام عبد الفتاح إمام. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٥. سلسلة المشروع القومي للترجمة (العدد ٦٩٩).
١٧- أقدم لك... النظرية النقدية. تأليف ستيوارت سيم وبورين فان لوون. ترجمة جمال الجزيري. مراجعة إمام عبد الفتاح إمام. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٥. سلسلة المشروع القومي للترجمة (العدد ٨٣٩).
١٨- "تنمية المواهب في التعليم". مجلة المعرفة. السعودية. عدد يوليو ٢٠٠٦ (ص٩٤-٩٧).
١٩- موسوعة كمبريدج في النقد الأدبي. الجزء الرابع: القرن الثامن عشر. المجلد الأول. تحرير: هـ. ب. نسبت وكلود راوسون. المشرف العام جابر

عصفور. مراجعة وإشراف فاطمة موسى. ترجمة جمال الجزيري ومحمد الجندي وشكري مجاهد. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٦. سلسلة المشروع القومي للترجمة (عدد ٩١٨).

٢٠- السيد: رواية. تأليف ثريا أنطونيوس. ترجمة جمال الجزيري ومحمود حسب النبي. مراجعة جمال الجزيري. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٦. سلسلة المشروع القومي للترجمة (عدد ١٠١٥).

٢١- موسوعة كمبريدج في النقد الأدبي. الجزء الثامن: من الشكلانية إلى ما بعد البنيوية. تحرير: رامان سلدن. المشرف العام جابر عصفور. مراجعة وإشراف ماري تريز عبد المسيح. ترجمة أمل قارئ وجمال الجزيري وحسام نايل وخيري دومة وعادل مصطفى ومحمد بريري ومحمد سعيد القن ويمنى طريف الخولي. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٦. سلسلة المشروع القومي للترجمة (عدد ١٠٤٥).

٢٢- معجم دراسات الترجمة. تأليف مارك شتلويرث ومويرا كووي. ترجمة جمال الجزيري. القاهرة: المركز القومي للترجمة، ٢٠٠٧. سلسلة المشروع القومي للترجمة (العدد ١١٥٢).

(٥) مراجعة ترجمة

١- فندق الأرق. ديوان شعر. تأليف تشارلز سيميك. ترجمة أحمد شافعي. مراجعة وتصدير جمال الجزيري. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٤. سلسلة المشروع القومي للترجمة (العدد ٦٣٩).

٢- وجه أمريكا الأسود وجه أمريكا الجميل: مختارات من الشعر الأفروأمريكي. ترجمة أحمد شافعي. مراجعة وتقديم جمال الجزيري. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٥. سلسلة المشروع القومي للترجمة (العدد ٨٢٣).

(٦) دراسات أكاديمية باللغة الإنجليزية

1- Shifting Perspectives in Roy Fuller's Collected Poems 1936-1961. Unpublished M. A. thesis. Cairo University, Faculty of Arts, English Department, 1998.

2- Narrative Aspects in Roger McGough's Poetry 1967-1987. Unpublished Ph.D dissertation. Ain Shams University, Faculty of Arts, English Department, 2002.

3- "Thanatography in Stevie Smith's Poetry". Faculty of Arts Journal, Menoufia University. Vol. 68 (January 2007): 23-66.

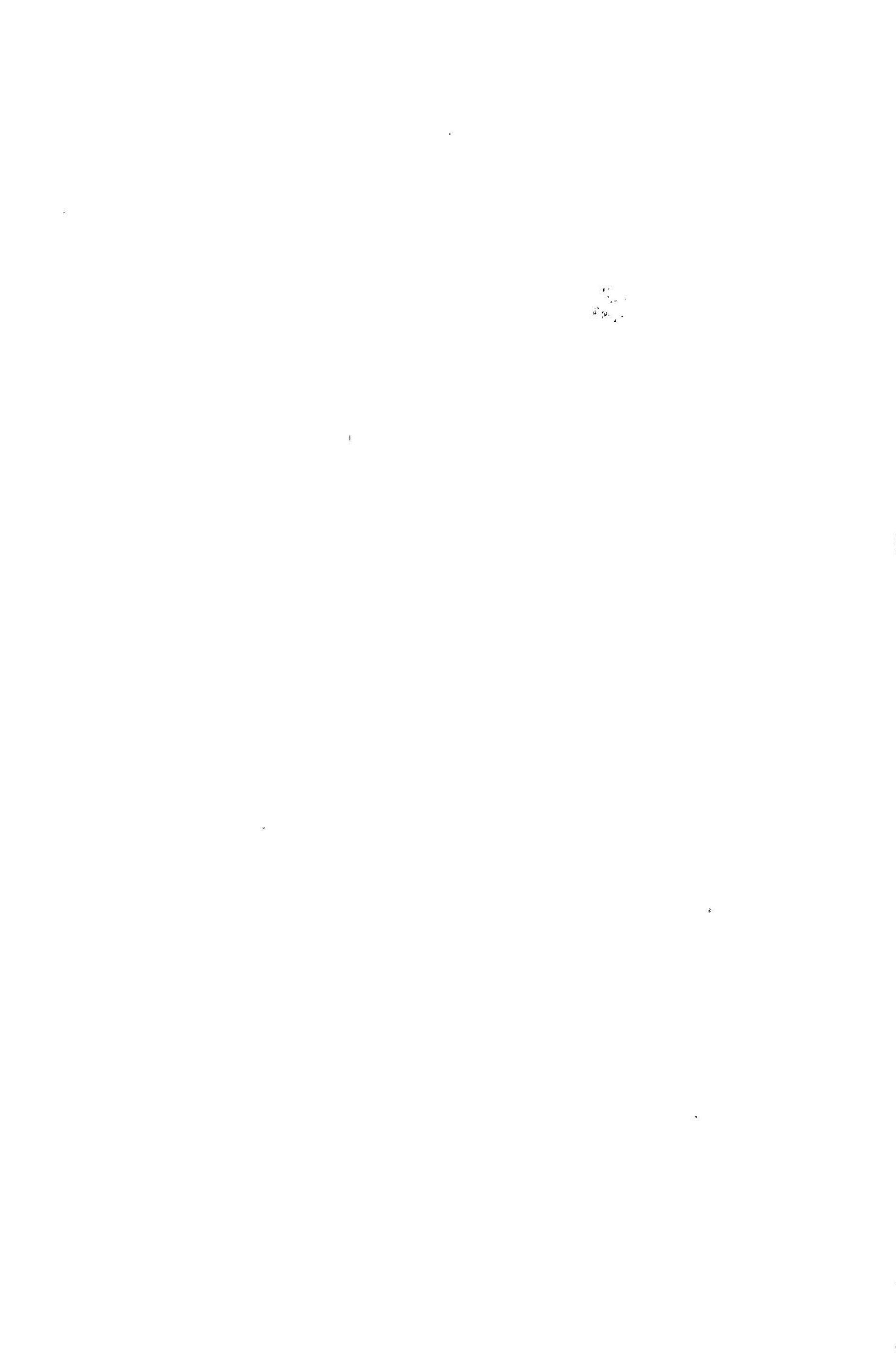
4- "Fluid Identity of the Daughter in Jackie Kay's Adoption Papers". Faculty of Arts Journal, Menoufia University. Vol. 69 (February 2007): 1-28.

5- "The Motif of Shapeshifting in Jo Shapcott's Her Book". Fikr Wa Ibda' No. 42 (September 2007): 27-61.

6- "Revising Fairytale Discourse in Carol An Duffy's Little Red Cap". Fikr Wa Ibda' No. 45 (May 2008): 1-71.

7- "Human Objectification in Carol Ann Duffy's The World's Wife". Fikr Wa Ibda' No. 47 (September 2008): 225-284.

فهرس





كانَ يعوي أعلى التل. صعدتُ إليه لأخفِّفَ عنه. ابتسم في وجهي ثم ألقى بنفسه إلى هاوية الانتحار. ولكن هذه الهاوية رفضتْ صدرَه النافرَ وأنفاسَه المحترقةَ وألقت بنفسها في أحضان أرض صخرية تبيع نفسَها للغرباء.

لوحة الغلاف: الفنان رينيه ماجريت

تصميم الغلاف: عرفت عنتر النحاس